حركة البطل فى الرواية الإسلامية
سيرة شجاع

للأديب على أحمد باكثير
أنموذجاً إعداد
د/كمال سعد محمد خليفة
مدرس الأدب والنقد بالكلية

حركة البطل فى الرواية الإسلامية (سيرة شجاع)
للأديب /على أحمد باكثير - أنموذجا

مدخل الدراسة :

تعد الرواية من فنون الإبداع الأدبى المهمة فى العصر الحديث ، إذ تحمل بين جنبات عالمها ثراء فكريا ، وإبداعيا ، فهى القادرة على أن تقدم الآن هموم المجتمع ومشكلاته عبر تشكيلها الفنى ، تطرحها على المتلقى فى أناة ، وترو ، لم يتوفر لغيرها من الفنون ، التى تحتاج لاستكناه مضامينها قدرة خاصه على الاستيعاب ، أو التفكير .فالشعر مثلاً ، يحتاج لاستعداد فطرى ، وتذوق خاص ، يمكن المتلقى من استيعاب ما يقرأ ، أو يلقى إليه ، فيسمعه ، فكم من قراء للشعر ، يطربون لموسيقاه ، ولكن لا يستطيعون تقديم تفسير لهذا الإعجاب ، من مقومات فكرية أو فنية ، كونت لديهم هذه الرؤية التى بلوروها عما قرأوه ؟!!

أما الرواية ، فلديها من الاتساع الزمانى ، والمكانى ، والإبداعى ، ما يجعلها تستوعب الأفكار ، وتفسيرها وتحليلها ، ورصدها من وجهة نظر الكاتب ، كما أنها تستوعب مقومات فنية متعددة تساعد الكاتب ، والمتلقى فى الآن نفسه ، أن يتواصلا عبر اللغة المشتركة ، والصياغات المتنوعة ، وهذا يجعل الرواية فنا اجتماعيا قادرا على رصد مشكلات المجتمع ، وتقديم الحلول المناسبة لها من وجهة نظر الأديب ، فهى ذات خصوصية فكرية وإبداعية ، تستقطب جموعا من المتلقين ، فتحدث فيهم التأثير والإقناع والمتعة التى يسعى إليها المتلقى .

من هنا ، لا تكون الرواية شكلاً أدبيا فحسب ، ولا رسيلة من وسائل تزجيه الفراغ ، بل هى أكبر من ذلك ، فلئن كان الإمتاع وجها من وجوهها ، فإن لها وجوها أخر ، تعبر (عن التصور والاعتقاد ، المتمثل فى نظرة الكاتب إلى الكون والإنسان ، فهى بذلك عامل من عوامل التأثير الفكرى ، والتغيير ، الاجتماعى)[1] .

من ثم ، تكون دراسة الإبداع الروائى ضرورة ملحة ، لرصد حركة المجتمع؛ رصد آلمه وآماله ، انتكاساته وانتصاراته ، على المستوى الفردى والجماعى ، حتى تحدث لدى المجتمع ما يسمى بـ(الصدمة) . فيسترد عقله وتفكيره المغيب لاسيما ، فى هذا العصر الذى يحيا فيه المجتمع العربى والإسلامى حالة من الانتكاس الفكرى والسياسى والاجتماعى والاقتصادى . فالرواية ، بمثابة المرآة التى فيها المجتمع عيوبه وسقطاته وخطاياه ، فيحاول أن يتمرد على هذا الواقع المتهرئ وينبذه ، ويتسامى عليه ، فيسترد عافيته وتفكيره ، وينهض من كبواته قوياً وقادراً. على تحمل مسئولياته الاجتماعية والفكرية والسياسية والاقتصادية ، فيصنع المجتمع الأفضل ويشكل هويته الإنسانية ، التى فضله الله من أجلها على سائر الكائنات الأخرى التى يزدحم بها الكون الفسيح .

من ثم ، كانت هذه الدراسة التى تطرح هذا التصور الإسلامى ، لحركة الإنسان فى الحياة . ومن ثم ، حركة الإنسان فى عالم الرواية .لاسيما ، إذا كان هذا الإنسان طرازا فريدا فى هذا الكون ، له مسئولياته المتعددة ، التى تحاول عقيدته الإسلامية أن تلقى عبء متابعتها وتحقيقها ، هذه المسئوليات ، أو القيم من الحق والخير والجمال والعدل .. الخ ، هى التى فى مجملها تخلق لدى الإنسان خاصية البطولة ، فى التصور الإسلامى للإنسان .. وهذا ما سترصده الدراسة عبر تحليل لشخصية البطل (شجاع بن شاور) ، ومتابعة لحركته النامية والمتطورة ، عبر أحداث رواية (سيرة شجاع) للأديب الإسلامى (على أحمد باكثير) ... وتدور الدراسة حول ثلاثة محاور هى :

---

[1] انظر : خصائص القصة الإسلامية ص٧،٨ د/مأمون فريز جرار - دار المنارة - أولى -١٩٨٨-جدة...

المحور الأول : يتناول التصور الفنى والفكرى لمفهوم البطولة فى الرواية العربية ، والبطولة فى الأدب الإسلامى فى الرواية التى عالجها كاتبها ، برؤية إسلامية، ومكانة البطل من هذا العمل الإبداعى .

المحور الثانى : يتحدث عن علاقة الإبداع الأدبى بالتاريخ ، بوصفه علما ومضمونا حيويا ، له من المقومات الفكرية والإنسانية ، ما يهئ المناخ الإبداعى للأديب ، وذلك لأن الرواية عنيت بشخصيات وأحداث تاريخية .

المحور الثالث : ويتناول فى الدراسة التحليلية ، تتبع حركة " البطل " ورصد تفاعلاته ، ومواقفه ، وتصرفاته ، عبر الصراع الدرامى المتنامى فى عالم الرواية ...

المحور الأول
مفهوم البطولة ومكانة البطل فى الإبداع الروائى

البطل فى الآداب العالمية ينال اهتمام المبدعين على اختلاف توجهاتهم ، الفكرية، والأيديولوجية ، بوصفه أداة حية يستطيع الأديب أو المبدع من خلالها ، توصيل ما يود بثه من أفكار أو فلسفات تخدم قضية معينة أو فكرة سياسية كانت أو عقائدية ، أو فلسفية ، أو اجتماعية ، يحاول من خلال المعطيات الفنية أن يقنعنا بها ، فيطرح هذه الموضوعات أو الأفكار على المتلقين ، فتتجه نحو قلوبهم وتغزو نفوسهم ، وتشكل فكرهم ووجدانهم ، دون عوائق تحول أو تمنع وقوعها فى ذواتهم ، لما لهذه المعطيات الفنية من تأثير بالغ على نفوس المتلقين .

من ثم ، يتبوأ الشخص /البطل /فى العمل الروائى مكانة مرموقة ، من بين مفردات البناء القصصى الأخرى ، إذ أنه البؤرة التى تنطلق منها الأحداث ، وتتوزع داخل البناء ، ثم فى الوقت نفسه ، تعود إليه ... فالأحداث تتولد عن الشخصيات ، لأن الحدث فعل ، ولا بد للفعل من فاعل وهو الشخصية . (البطل) .

فالبطل فى الرواية : هو ذلك الشخص الذى يلعب دوراً رئيسيا فى حركة الأحداث ، فهو الذى تتجمع حوله الأحداث وتتفرع عنه ، فتستقطب شخصيته

الأحداث ، وتديرها حولها ، فتنطلق منها الأفكار المطمورة داخلها بفعل الخلق أو الإبداع ، فتنجذب إليها الأنماط المختلفة الأخرى (الشخصيات الثانوية) فتفرض سطوتها على الأحداث المختلفة ، التى يتداولها الأشخاص على اختلاف مستوياتهم وهوياتهم بحيث يبدو الجميع وكأنهم لبنات تتكون منه هذه الشخصية الأم (البطل) ذات الحركة الفاعلة التى يتحرك من خلالها وفى إطارها جميع الشخصيات التى تصنع العالم الروائى الذى أبدعه الأديب على صورة ما .. من ثم ، يكون البطل هو الشخصية المحورية التى تدور حولها الشخصيات ، وتدور حولها فى الوقت نفسه، الأحداث ، وتتطور هى معه وبه ، حتى تتبلور فى النهاية ، شخصية ذاتية فريدة ، لها استقلالها وإن كان حبلها السرى متصل بكل الشخصيات الأخرى التى تدور حولها تستمد من خلالها وفى إطارها جميع الشخصيات التى تصنع العالم الروائى الذى أبدعه الأديب على صورة ما .. من ثم، يكون البطل هو الشخصية المحورية التى تدور حولها الشخصيات ، وتدور حولها فى الوقت نفسه ، الأحداث ، وتتطور هى معه وبه ، حتى تتبلور فى النهاية ، شخصية ذاتية فريدة ، لها استقلالها وإن كان حبلها السرى متصل بكل الشخصيات الأخرى التى تدور حولها تستمد منها الحياة ، وتفرغ فى الآخرين ، قدرا لا يأس به من الحيوية والنضارة والتى لو قدر لها أن تموت لماتت جميع الشخصيات التى كانت تتحرك من خلالها.

من هنا ، يكون البطل فى الرواية واضح المعالم محدد السمات والأهداف ، ذا طريق ممهد نحو الهدف الذى خلق من أجله فى العمل الفنى ليقول شيئا ما ، أو يرمز إلى حقيقة من حقائق الحياة يكون الكاتب مهموما بها وتؤرقه .. من ثم يصبح البطل فى الرواية تجسيدا لمعان معينه ، أو يرمز لدور ما من أدوار الحياة وخاصة المهمة منها فيكون أنموذجا يحتذى ، أو مثالا سيئا ، يولد النفور والاشمئزاز .وهو فى كلا الحالتين ذو تأثير إيجابى قبولا أو رفضا . وكلما كان البطل قريبا من الواقع يحمل همومه وحافلا بعناصر الإقناع ومكتمل الملامح والسمات الموضوعية والفنية أصبح هذا البطل أكثر جاذبية ، وأعمق تأثيراً وألصق بذهن المتلقى ...) [1]فكم من الشخصيات عندما قدمت على هذه الصورة عاشت بين الناس ، وتعدت هذا النحو ،

---

[1] مدخل إلى الأدب الإسلامي ص دكتور نجيب الكيلانى .. بتصر- كتاب الأمة عدد (١٤) .. قطر .

من الإبداع (الصورة الورقية) إلى الأحياء فى صورة حميمة تجذب المتلقى وتنسرب إلى أعماقه ،ومشاعره ، فتخلق له واقعا ، يتجاوز أوراق القصص ،أو شاشات العرض ، إلى حياة الناس ، وكأنها شخصيات حية تتنفس الواقع وتحياه فى حركة دائبة ، مثل : شخصيات :" السيد أحمد عبد الجواد " بطل (ثلاثية نجيب محفوظ) و(رفعت الجمال) البطل المصرى الذى اخترق أغنى أجهزة الجاسوسية فى العالم (الموساد الإسرائيلى) فى " رأفت الهجان" لصالح مرسى وشخصية "سيف الدين قطز" فى "وإسلاماه" للأديب الإسلامى " على أحمد باكثير" ... فهذه البطولات تجاوزت الحدود المرسومة لها على صفحات الروايات إلى حياة الناس فأقنعوا أنفسهم بأنهم أحياء يعيشون الحياة عن آخرها .. دون ملل أو كلل ..

والبطولة فى التراث العربى الإسلامى تحيا حياة رغده ممتلئة بالمظاهر الإيجابية المقنعة ، والمغرية فى الوقت نفسه ، بالاقتداء . لما للشخصية العربية المسلمة من مقومات بيئية وعقدية واجتماعية ،تضج بها كتب التراث ، من شعر ونثر ، وكذلك يزدحم بها الواقع الإسلامى منذ وعى التاريخ ، وسطرت أحداثه حتى يوم الناس هذا..

فالعربى المسلم ، فارس لا يذل أو يقهر وإن ناله الخذلان أو القهر ، فهى لحظات ضعف سرعان ما ينهض منها كالجواد الأصيل كبا على غرة منه ، فينتفض يصول ويجول ، حتى يبهر فى أدائه ، مما يحيل هذه الكبوة نقطة انطلاق جديدة ، تسمو به نحو المهارة والإقدام ..

والبطولة فى العملية الإبداعية . لاسيما ، فى الرواية ، التى تتخذ موضوعها غالبا من حياة الناس ، ليست على صورتها فى الفكر الشعبى أو حتى اللغوى . فإذا نظرنا لهذا المصطلح (البطل) نجد أن التفكير يأخذ بعضا من الناس إلى كونه البطل الحربى ، الشجاع المقدام . الذى يقهر الآخرين ويكسر النخوة فى نفوسهم ، فيجبنوا عن مواجهته ؛ لأنه يأتى بالخوارق من الأفعال التى قد يعجز الناس عن مواجهتها .

فالبطل كما تخبرنا معاجم اللغة [١] (هو الشجاع ، وسمى بطلا : ، لأن الأشداء يبطلون عنده ، وقيل : هو الذى تبطل عنده دماء الأقران فلا يدرك عنده ثأر) .

فالبطل فى هذا التصور اللغوى -كما رأيت -هو : الذى يحرز سبقاً ، أو تميزا فى القتال أو عند المواجهة الحربية .

أما المعجمات الأدبية المتخصصة ترى أن البطل [٢] : (محارب شهير ، أو إنسان يعجب به الناس ، لما له من تأثير ومكرمات . وذلك مثل : " عنترة " عند العرب والبطولة : بسالة خاصة بكبار الشجعان)[٣] فهى لا تخرج فى مجمل صياغاتها عن المعنى اللغوى السالف ، وإن راعت الجانب الروحى أو الإنسانى فى ذات البطل (لما له من ماثر ومكرمات) .

قد تكون له فى حياة الناس بعيدا عن حلبات الصراع أو ميادين القتال ..... أما التصور الإبداعى لشخصية البطل ، كما وضحنا ، فهو يختلف عن هذه المضامين المختلفة ، وإن كان يحمل فى ذاته فرادة وتميزا عن بقية الشخصيات التى يضج بها العمل الفنى ، إلا أن هذا التفوق ، وهذه الفرادة ، يكتسبها البطل من حركته الدؤوب، وفاعليته فى حركة الحدث الرئيسى والأحداث الناشئة عنه ومعه ، حتى يكتمل لدى المبدع والمتلقى معا ، تصوراً خاصاً ، لهذه الشخصية تستحوذ على المتلقى وتملك عليه حواسه ، وفكره ، ووجدانه بعد ما عنيت باهتمام الكاتب وإخلاصه فى تحديد ملامحها ، وتشكيل هويتها ، عبر الصراع المتنامى فى كيان العمل الفنى .....

وعلى الرغم من هذا الثراء الواقعى ، للشخصية العربية - البطل- وهذه المقومات الهائلة للبطل العربى والإسلامى ، إلا أننا وفى الآداب خاصة - تعتقد هويتنا العربية والإسلامية إلا ما ندر ..... وللعجب نجد أكثر كتابنا يعنون

---

[١] لسان العرب لابن منظور ٣٠٢/١ مادة "بطل" .

[٢] معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب ص٧٨ مجدى وهبه وكامل المهندس/ مكتبة /لبنان/ ثانية ١٩٨٤ بيروت .

[٣] المعجم الأدبى ص٥٠ جبور عبد النور -دار العلم للملايين أولى ١٩٨٤ - بيروت .

بشخصيات ممسوخة ، ينسبونها إلى الواقع العربى أو الإســـلامى ، يقلـدون الآداب الأجنبية ، فينتجون شخصيات لقيطة فى المجتمع الإسلامى ، يقوم الأديب من هـؤلاء باختيار بعض هذه الشخصيات الأجنبية ، ويحاول أن يلبسها ثوب العرب المسـلمين ، ويبث من خلالها أفكاره وادعاءاته ، فينطقها بما شاء ويملى عليها السـلوك الـذى يرتأيه ، فتولد فى مجتمعاتنا هذه الشخصيات الشـوهاء ، البعيـدة فـى تركيباتـها ومقوماتها عن التكوين البيئى والعقدى والاجتماعى للشخصية الإسلامية ..... ومما يزيد الطين بلة أن شبابنا وفتياتنا ، يبهرون بهذه البطولات الشوهاء ، ويقلدونها عن قناعة وإيمان ، يقينا منـهم أن هـذه هـى البطـولات العصريـة أو الحضاريـة (كالسوبرمان والجنتلمان) وغيرها وهم لا يدرون أنهم يحطمون أنفسـهم بإقتدائـهم بهؤلاء الذين يعدهم المجتمع الإسلامى نفايات قذرة ألقيت فـى محيطـه كمـا تلقـى النفايات النووية السامة فى مجتمعات الضعفاء والأرقاء !!!

وليس أدل على ذلك من شهادة هذا المبدع العربى " سهيل إدريس " الذى يرصـد فيها صورة البطل فى الرواية العربية فيقول : " إن إنتاجنا الروائى الحديث قد أمـات البطولة بمفهومها التقليدى ، ليحيى بطولة أخرى ، هى بطولة الإنسان الطبيعى الـذى يعى الحياة الطبيعية بكل أبعادها ... أن إنسان روايتنا الحديثة ، وبطلها فى آن واحـد ، هو كائن يبحث عن ذاته الحقيقية عبر تجارب كثيرة يبدو فيها تائها ، غير مسـتقر ، يسافر طويلا فى الماضى ، ويشطح إلى المستقبل ويبلو كثيراً من النسـاء ويـأثم ويخون ويتعثر ، ويحب الحب العاطفى ، والحب الشهوانى ، ويخيـب فـى كليـهما ..... وإذا آمن مرة بالقيم ، كفر بها مرات ، وإذا داعبته الأمانى والأوهـام ، فـلا تلبث الخيبات أن تدمى قلبه ، فيكشف فى أعماق نفسه بأسا وأسى ، ويستبد به قلـق عظيم .....) [١] .

فإن كان هذا هو البطل ، فى الرواية العربية ، أو الشخصية المحوريـة ، فـى العمل الفنى ، التى أفرزتها هذه القرائح الإبداعية ، فى هذا العصر ، فإننـا لا نقبـل

---

[١] هذه الشهادات منقولة عن مجلة ،(الحرس الوطنى) العدد ١٩٠/١٨٩ المحرم ١٤١٩ مايو ١٩٩٨ م مقال للأستاذ / حسن حجاب الحازمى نقلا عن مجلة الآداب العدد الأول يناير ١٩٥٩ ص٣٢٢ .

بهذا الإنسان التائه ، القلق دائماً ، الذى يتحرك كالأعمى الفاقد لعصاه ، فأى إنسان طبيعى ، يعيش حياة طبيعية يكون هكذا تائها قلقا لا يستقر على مرفأ ؟! فإذا كان الأدب فى إبداعه يسعى دائماً فى مفهومنا إلى الارتقاء بالإنسان ، وقائم فى تقديم نماذجه على الاختيار والانتخاب من المجتمع ، الذى يتناول قضاياه ومشكلاته ، فيسمو بالإنسان الطبيعى نحو عالم البهجة والتطهير ، فهل تكون أدواته هذه الكائنات المريضة القلقة التائهة ؟! أم مجتمع " سهيل إدريس " لم يدب على أرضه إلا المرضى التائهون الآثمون ؟! ..

ففى الأدب عامة ، والإبداع الذى ينبثق عن رؤية إسلامية كونية وحضارية ، تسعى دائماً لإصلاح الخلل الاجتماعى ، وتنظيف الواقع المتهرئ ، وتربى أفراده على الشفافية والنقاء ، فى هذا الإبداع خاصة ، لا ننكر وجود مثل هذه النماذج ، أو الأنماط المنحرفة ، والمعتلة فكرياً ، واجتماعياً ، بل ونفسياً ، ولكن ليست هذه النماذج التى تعبر عن المجتمع كله ، فالمجتمع مليء بالأصحاء المستقيمين فكرياً واجتماعياً ونفسياً ، والواقع يقتضى أن يكون هذا إلى جواره ذاك القوة إلى جانب الضعف ، الطهر والنقاء إلى جانب السقوط والرذيلة .... لكن تصور هذه البؤر المظلمة فى حياة الإنسان على أنها لحظات ضعف ووهن .... لحظات مرض فحسب، على هذا الإنسان أن يلتمس الشفاء منها ، حتى يبرأ وتصح نفسه ، وتسلم جوارحه ... فواقعية الإسلام ، تجمع بين السماء والأرض ، وبين الطبيعة المحسوسة والطبيعية غير المحسوسة ، تتطلع نحو السماء دائماً إلى الأفق الفسيح ، إلى الحقيقة العليا التى تتعاضد مع بعض المقومات الإنسانية فى التصور الإسلامى ، لتكون الواقع الإنسانى للإنسان والحياة والكون ... من ثم ، يصبح الواقع فى نظر الإسلام – ليس هو الواقع البشرى المفروض من قبل (صفوة ممتازة) أو (طبقة كادحة) أو الواقع المادى المحسوس القصير النظر ، وإنما هو الواقع الأرضى الذى لا ينفصل عن الواقع السماوى بحقيقة العليا وروحانيته ، وإعجازه وقدره أنه الواقع

الإسلامى الشامل لكل عناصر الواقع القائم ، واحتمالاته غير المنظورة أو المدركة[١]...

فحقيقة لا تقبل المراء ، أن الناس مختلفو الطباع والمشارب ، فمنهم الصالح والطالح ، والطيب والخبيث . إلا أننا نريد مجتمعاً لا يميت البطولة الحقيقية للإنسان ، فيعيش الحياة بكل أبعادها ..... فيكون كائنا يبحث عن ذاته ، تجاربه الإنسانية... فيبدو قلقا ، ولكن هذا القلق، يفضى به إلى الطمأنينة ، فى أخر الرحلة ويندم على الخطأ ، إن كفر بالقيم مرة آمن بها مرات ومرات ، وإذا داعبته الأمانى والأوهام جد فى طلب هذه الأمانى وسعى فى تحقيقها في الإطار الصحيح ، وحَطَّم الأوهام وداسها ، وإن تنكب الطريق فى طلب الأمانى ، عاود المحاولة مرة ومرات، حتى تتجلى فى نفسه الطمأنينة والرضا ، فذلك هو البطل فى المنظور الفطرى الحقيقى الذى يسعى الإسلام إلى خلقه ، وتأصيله ، ويسعى كذلك الأديب أو المبدع المسلم ، إلى تقديمه ، كأنموذج حقيقى للإنسان ، الذى تتجاور فى نفسه المتقابلات (فألهمها فجورها وتقواها [٢] لكن هذا الإنسان دائماً ما يسعى إلى إضاءة الأركان المظلمة فى ذاته ، ويتجاوز أو ينعتق من (الطينية) فيطمح إلى النور والنقاء ، التى تفرزهما خاصية (الروحية) فيقف فى ملتقى هذين العنصرين ،(نقطة وسط) ، تلتقى فيها الروح بالجسد ، فتفرز هذا الإنسان المثالى فى نظر الإسلام ، هذا النمط الذى أراده الإسلام وكلفه خالقه بمهام العمارة الكونية ..... ولكن هذه الشخصيات المتهافتة المتهرئة ، التى يصنعها الأدباء الذين يلهثون وراء هذه النماذج الشائهة ، هذه الشخصيات سرعان ما تهوى وتغيض وتنتهى من حياتنا إلى الأبد ، وتطفو على بساط الواقع هذه الشخصيات القادرة على سبر أغواره وتشكيل هويته ، وقادرة على التعبير عن آلام فتترجم هذه الآمال أو الآلام إلى مواقف عظيمة ومؤثرة فى شباب الأمة الإسلامية .لا سيما ، إذا كان أدبنا للأب الروحى للفكر الإبداعى – الإسلامى –فيكون هذا الفكر بمقوماته المختلفة ، منطلقا لهذه الشخصيات البطولية الواعدة ، التى تصدق فى التعبير عن واقع حياة الأمة واستيعاب حركة التاريخ ، محملة بزاد العقيدة

---

[١] الواقعية الإسلامية ص١٧،٣٣ بتصرف أحمد بسام ساعى –دار المنارة –أولى –١٩٨٥ جدة .

[٢] سورة الشمس آية (٨) .

والفكر البانى ، فيصلب عود شبابها الواعد ، فيحمل الأمانة ، ويسعى نحو تحقيق توازن اجتماعى ، منبثق من رغبة أكيدة فى البناء والتواصل الحضارى ، الملتحم مع الحضارات الأخرى ، على اختلاف هواياتها ، متسلحا بهذا الرافد الإيمانى ، الذى يمكنه من الصمود فى وجه هذه التيارات ، والأعاصير المتدافعة ، التى تواصل انقضاضها ، دون تريث أو هوادة ، من كل صوب وحدب ، على هذه الطاقات الحضارية الفاعلة من أبناء الأمة الإسلامية فى كل مكان وزمان !!

فالإسلام ، دين يتواصل مع الناس فى الحياة لديه من المعطيات الإنسانية والحضارية ما لو استغلها الإنسان ، لأضحى أنموذجا مثاليا فى هذه الحياة ... "فالدين الحقيقى هو الذى يعتق الإنسان من التردى والتشتت والانحراف ، والعبادات المتعددة التى يقدمها الإسلام للبشر ، ما هى إلا تجارب حياتية كبرى ، قائمة على التوازن الفذ العجيب بين الأخذ والعطاء ، فالإنسان يبلغ قمة إنسانيته ، عندما يصل تلك النقطة التى يحقق منها التوازن ، فكل نشاط أو مفردة من مفردات العبادة الإسلامية بشتى مكوناتها الإيمانية ذات فاعلية ،أو مردود إيجابى فى كل ذات المسلم كون إيمانى ، يضئ بالفضائل ، والقيم السامية ، التى تطبع هذه الشخصية بطابع إنسانى ينماز فيه المسلم عن غيره من الشخصيات الأخرى التى تموج بها الحياة فيبلغ أقصى درجات الانسجام والاتزان النفسى [١] .

هذا الإنسان ، إفراز هذه العقيدة الحضارية هو النموذج الذى يمكن أن يكون بطلا حقيقيا ولا يضيره كما قلنا -الانحراف أو الانفلات من هذه القيم ، لأى سبب ما، إذا ما استطاع أن يؤوب إلى رشده ويعود إلى حقيقته .. وهنا تصبح المهمة أكبر على المبدع فإنه يهيئ له أسباب العود الحميد ولا يغريه بالعدو وراء الشهوات ، أو سقوط أو غيبة مؤقتة عن الحقيقة إلا أن الحقيقة ساطعة .. سرعان ما ينجذب إليها .. ويستقيم فى الإطار الحقيقى الذى صنعته فيه الفطرة الحقيقية ، وهذا ليس حلماً بعيد المنال ، فشواهد التاريخ ، والواقع الحضارى للإسلام ، قدما نماذج رائدة لرجال ملأوا الآفاق الفسيحة فى كل مكان وزمان .. فالبطل المسلم هو النموذج البشرى

---

[١] انظر الطبيعة فى الفن العربى والإسلامى ص٧٢ د/عماد الدين الخليل -مؤسسة الرسالة ١٩٧٧بيروت .

الذى يتعامل مع مقدرات الأمة بإخلاص ووعى ويقين وينبض قلبه بحب الخير للإنسان .... لجميع البشر ، كل البشر ويؤمن بالعدالة والقيم الأصيلة من الخير والجمال والحب ، بين الجميع لا يفرق بين هذا أو ذاك ، يسوسه الإسلام بمنهجه ودستوره القويم ، فى صلاته ومعاملاته مع أخيه المسلم وغير المسلم ، لا سيما ، إذا كان إسلامنا يقدم منهجا ، ودستورا حيا على الدوام ، قادرا على مخاطبة الناس فى كل زمان ، مهما اختلفت لغاتهم أو أجناسهم أو بيئاتهم ، يتسع صدره للجميع دون حجر أو قسر ، ويطرح منهجه الربانى فى سياسة الحياة وتشكيل معاملات الإنسان مع أخيه الإنسان ، وكذا الكون والحياة بجميع مفرداتها ، دون النظر إلى الجنس أو العقيدة .

فالأديب العظيم ، هو الذى يستطيع أن يتخذ موقفا عقديا صحيحا أو فكريا ، نابعا من تصور صحيح ، تجاه مجتمعه ، فلا يقوم بتصور ما عليه الواقع بحجة الواقعية دون تغيير أو تعديل ، بل يقوم بتشخيص هذا الواقع ومحاولة سبر أغواره ومعالجته ، فى إطار من هذا التصور الصحيح (فيحاول عبر الأشكال الفنية القادرة أن يفسر ويحلل ، وينقد ويؤثر ويزرع الأمل فى النفوس موحيا إليهم بالحياة الفاضلة، التى دعا إليها الإسلام وداعيا إلى تأكيد التجربة الحضارية الفذة للإسلام فى صناعته للمجتمعات الفاضلة .. فإن صدق التعبير لا يعنى الرضا بالواقع المرير وتكريس ما هو كائن .. (إن تجسيد المأساة على أسس ومقاييس إلهية موضوعية هو الصدق وأن شفاء الأرواح والقلوب والعقول هدف اسمى وبداية صحيحة ، وأن إزالة الأنقاض والخرائب ، تمهيدا لبناء صحى شامخ هو الحل ، ولم يوظف الأدب الإسلامى الصحيح فى تأريث العنصرية والطبقية والإباحية لكنه دائماً وأبداً ، مشعل حق ، ومبعث هداية ، وعامل بناء وسعادة ورفاهية وطاعة وتآلف وتراحم ..) [١] فضلاً عن أن الإبداع الأدبى ، ينهض على الاختيار والانتقاء ، ولا يقوم أبدا على النقل (الفوتوغرافى) عن الواقع أو الحياة .

---

[١] آفاق الأدب الإسلامى ص١٠٣ نجيب الكيلانى -مؤسسة الرسالة طبعة أولى -١٩٨٥ بيروت .

فالبطل فى القصة الإسلامية ، هو الذى ينهل مقوماته ومعطياته من الإسلام المتمثل فى القرآن الكريم والسيرة النبوية المشرفة والأحاديث النبوية فى الكتب الصحاح ، بوصفها منابع حضارية تصنع المنهج الصحيح لبناء الإنسان الحضارى ، وهذا الكم الهائل من التراث الحضارى للأمة فى وقائعها المتنوعة والمشرقة بأرقى وأجمل المعانى الإنسانية السامية والقيم الناصعة . التى تتعاون فيما بينها فتفرز هذا النبت الذى يخرج من الأرض الطيبة بإذن ربه ضاربا بجذوره فى طينها الطيب ، وسامقة أفنانه فى السماء بإذن ربه ..... فيضىء ما بين جنبات الحياة ، ويدعو إلى التفاؤل ، وينبذ العداوة والبغضاء والتآمر ، وينأى عن النقائص والدسائس ، ويلجم نفسه بلجام الخير والحب والفضيلة ، فيرعوى عن الدنايا والنقائص ، فيتمثل كل هذه القيم الإنسانية الرفيعة التى تنتج مجتمعا نظيفا قادرا على استجابات حياة خاصة، إفراز هذه القيم الحضارية السامية .

فالبطل فى مفهوم الإسلام ما هو إلا (استجابة لحاجات المجتمع والأمة وفق نواميس تكوينها التى قامت عليها ، وينبعث فى وقت الأزمة من أعماقها ، ثم هو بعد ذلك يصنع الأحداث ، ويقود أتباعه إلى مرحلة جديدة من مراحل العمل البناء [١] .

وكُتَّاب القصة فى الأدب العربى ، الذين بهرتهم النماذج الإنسانية فى المجتمع الإسلامى ، واتخذوا من منهج الإسلام تصورا فكريا ، ومنهجا إبداعيا ، حاولوا من خلاله تقديم إضاءات إبداعية قادرة على سبر أغوار هذا الواقع الإسلامى الذى يعيشه ما يقرب من ثلث سكان العالم قلة .. قلة ، لكونهم يسلكون طريقا وعرا تنتصب على جانبيه كثير من العوائق والمثبطات التى ليس مجالها هنا ، ولكن على أية حال ، زخرت خارطة الإبداع الأدبى بكثير من المعالجات الأدبية الفذة ، لبعض القضايا الإسلامية على يد المخلصين من أبناء الأمة المبدعين ، ممن حملوا على عاتقهم الدعوة إلى القيم السامية ، والأخلاقيات النبيلة ، خلال إبداعاتهم على الرغم مما يواجهون به من الصمت المريع تجاه حركة إبداعهم ، فلم تأخذ هذه المحاولات الفريدة حظها من الدعاية الكافية ، أو التناول النقدى المنصف ، فما كان جزاء

---

[١] مشكلات الفكر المعاصر فى ضوء الإسلام ص١٤٩-أنور الجندى .

إخلاصهم لدينهم وأمتهم وقضايا مجتمعاتهم ، إلا الصمت والإغفال ، بل والتغاضى إن لم تكن الحرب ، من الأدباء المرموقين ، والصفوة من النقاد فى عالم الإبداع الأدبى، خاصة من الذين تهيأت لهم فرص تبوء منابر الفكر والنقد والإبداع ، ومنافذ النشر والانتشار !!

والأديب (عل أحمد باكثير) يعد من هؤلاء القلة من المبدعين الذين أحسوا بمسئولياتهم تجاه هذه الأمة ، تجاه آلامها ، وقضاياها ومشكلاتها ، وآمال أبنائها وطموحاتهم فى العصر الحديث ،فراح يشرع قلمه المخلص فى وجه التخاذل الحضارى الذى منيت به الأمة فى وقتها الحاضر ، فما كان منه إلا أن ينبش فى تراث الأمة ويحسر الغبار عن نماذج إنسانية حضارية ، استطاعت بفضل التزامها ، ومسئوليتها العقدية أن تصنع مجدا حضاريا وفكريا رائعا .

وفى تقديمه لهذه النماذج يصيب الأديب هدفين فى وقت واحد الأول منهما : هو تعريف النشء المسلم بحضارته ، ونماذجه الإنسانية الفذة فى أوج قوتها ، وازدهارها الحضارى ،ومدى تأثيرها فى حركة التاريخ الإنسانى والحضارى فتكون هذه النماذج وقوداً يمد الأمة بطاقات حضارية وإنسانية وثقافية هائلة .

والآخر : هو محاولة لصنع نوع من التمرد على هذا الواقع البائس وتحطيم هياكله ، والارتقاء فوق أشلائه ، كى نستطيع بناء حاضر مزدهر ، يستوعب طاقات أبنائه المتطلعة نحو مجتمع (مثالى) بمفهومه الإسلامى القادر على تخطى هذه المراحل المتهرئة ، وهذا الواقع الخرب المترع بالخرافات من حياة الأمة التى اتسمت بضعف فاعليتها الحضارية لأسباب مختلفة ليس هذا مكان ذكرها .

من هنا ، ومن منطلق هذه المسئولية حاول الأديب الإسلامى (على أحمد باكثير) أن يقدم نماذج إبداعية رائعة تحاول أن تقدم منهجا أو رؤية إسلامية لما يعتلج فى المجتمع الإسلامى والعربى من مشكلات سياسية أو عسكرية أو اجتماعية أو اقتصادية ، فكانت محاولاته الرائدة فى روايات : " سيرة شجاع " التى تعنى الدراسة بمناقشتها ، (وا إسلاماه) و(الثائر الأحمر) وهذا ما عنى به كثير من

المبدعين أمثال الأستاذ الأديب المرحوم / محمد عبد الحليم عبد الله فى رائعته : (الباحث عن الحقيقة) ، والأديب المرحوم /عبد الحميد جوده السحار الذى له فى مجال إبداع الرواية الإسلامية مجموعة حاشدة من الروايات مثل : " محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والذين معه "، " أبناء أبى بكر " ، " بلال مؤذن الرسول" ، " سعد بن أبى وقاص " ، " حياة الحسين " ، " عمر بن عبد العزيز " ، هذا بخلاف ما قدمه للأطفال من قصص تستلهم حياة الأنبياء والسيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين .

وكذلك الأديب الإسلامى الكبير صاحب الروائع الأدبية فى الأدب الإسلامى ، والذى عاش حياته حتى آخر لحظة من عمره يعنى بالأدب الإسلامى دراسة وإبداعا ، الأديب المرحوم الدكتور / نجيب الكيلانى " طيب الله ثراه " أبدع فى هذا الإطار المنبثق عن الرؤية الإسلامية أكثر من ثلاثين رواية أدبية مصنفة فى إبداع الأدب الإسلامى : [1] كل هذه الأعمال الإبداعية التى تعلى من شأن القيم الإسلامية عبر أحداثها وشخصياتها ، تدعونا لمواصلة الجهد فى تقديمها إلى الشباب المسلم فى كل مكان فى العالم ، حتى يتعرف هذا الشباب المبهور بالآداب الأجنبية ، ونماذجها المنحلة ، أن الأدب الإسلامى أدب الأمة قادر على تقديم البديل الأصلح والأنفع ، فنسد هذه الذرائع التى يتذرع بها هؤلاء الشباب فى كونه لم يجد النماذج المشرقة فى تراثه ، أو إبداعه لا سيما إذا عرفنا أن هواية القراءة اضمحلت أو انكمشت أمام الهوايات الأخرى مثل : ألعاب الكمبيوتر والرياضات المتنوعة ، لاسيما ، الفنية منها وأفلام (البورنو) وألعاب (الفيديو جيم) وغيرها من ألعاب المسلية والمدمرة لأخلاقيات شبابنا والقيم الإسلامية الفاضلة فى الآن نفسه .. مما يجعل الأمر

---

[1] (قاتل حمزة عذار جاكرى ، ليالى تركستان ، ونور الله ، ورحمة إلى الله ، وطلائع الفجر ، تابليون فى الأزهر ، ومواكب الأحرار ، عمر يظهر فى القدس ، عمالقة الشمال ، اليوم الموعود) فضلا عن مجموعات من القصص القصيرة الإسلامية منها : دموع الأمير أو رجال الله ، فارس هوازن ، غيرها ، هذا فضلا عن دراساته فى الأدب الإسلامى مثل " رحلتى مع الأدب الإسلامى ، آفاق الأدب الإسلامى ، مدخل إلى الأدب الإسلامى ، الإسلامية والمذاهب الأدبية .

مسئولية قومية ودينية على المبدعين والنقاد على السواء فى عملية الإبداع والمتابعة النقدية لهذه الأعمال الإبداعية .

والناظر فى هذه الأعمال يجدها تستلهم التاريخ الإسلامى للأمة الإسلامية وليس هذا عجزا من هؤلاء المبدعين أو هروبا من مشكلات الواقع الراهن إلا أن هذه النماذج الإنسانية التاريخية الإسلامية ذات نكهة خاصة بعيدا عن المزايدات أو المراهنات السخيفة مما يتلظى به الواقع من نماذج مسخها الغزو الفكرى ، والأدبى والثقافى ، بعامة . لاسيما ، فى ظروف زمانية منيت فيها الأمة بالانتكاسات الحضارية والسياسية والعسكرية . فلم يعد لها من الإسلام فى كثير من الأحيان إلا ثيابه ، أو لغته ، أو أشياء تافهة ، لا تنهض به أنموذجا إسلاميا واعيا أو قادرا على مسئولية التبليغ الإسلامى وتحمل أمانة الخلافة الحضارية فى الحياة ..

فالرواية التى بين أيدينا (سيرة شجاع) هى رواية تاريخية بمفهومها الأدبى حيث أن الشخصيات والأحداث دارت فى زمن الفاطميين عندما تولى " شاور بن مجير السعدى "[١] الوزارة فى عهد الملك " العاضد " صاحب مصر فى سنة (٥٥٨) هجرية " وشجاع " هذا ابن (شاور) وكان يلقب بالكامل [٢] ...

وكان " شجاع " هذا ، ذا سيرة طيبة ولذلك اختاره الكاتب ليكون بطل هذا العمل، الشخصية المحورية ، التى تدور حولها الأحداث ، وإن كانت كتب التاريخ لم تهتم

---

[١] جاء فى ترجمته أبو شجاع شاور بن مجير بن نزار بن شأس بن مغيث ابن حبيب بن ربيعه بن يخنس بن أبى ذؤيب ، وللإستزادة من أخباره يراجع :

أ-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ص٤٤٨:٤٣٩ لأبى بكر بن خلكان تحقيق د/إحسان عباس -دار الثقافة -دت-بيروت .

ب-سير أعلام النبلاء ٢٠/٥١٧:٥١٤ للأمام شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبى ت/ شعيب الأرناؤط ومحمد نعيم العرقسوسى - مؤسسة الرسالة -ثامنة-١٩٩٢-بيروت.

ج-النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ٣٥٢:٣٣٨ لجمال الدين أبى المحاسن بن تغرى بردى الأتانكى -نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب -وزارة الثقافة والإرشاد القومى -دت-مصر .

[٢] راجع النجوم الزاهرة ٥/٣٥١ .

بأخبار هذا البطل (شجاع) بقدر ما اهتمت وتشاغلت بذكر خيانات أبيه (شاور) وكأن المؤرخين كانوا يعنون بذكر المؤامرات والخيانات فى المقام الأول !!

فالكاتب " باكثير " اهتم بهذه الشخصية لما تمتاز به من سمات خلقية وعاطفة وطنية جعلتها قماشة فسيحة تتسع للصراع الدرامى الذى يعنى المبدع بخلقه فى العمل الروائى .. من ثم، كانت شخصية " شجاع " هى البطولة الحقيقية فى الرواية ، ومن ثم ، كذلك كانت محور اهتمام هذه الدراسة ، حيث تتبعت حركتها عبر الصراع الدرامى فى العمل الفنى فى هذه الرواية ، التى استلهم فيها الكاتب الأحداث والشخصيات من تاريخنا الإسلامى الفذ ، فى مراحله المتأزمة تضعنا أمام مواجهة حقيقية قائمة فى عملية إبداع مثل هذه الروايات ، التى تعنى برصد الواقع ومواجهته بالتاريخ ، مما يحفزنا لأن نوضح العلاقة بين الفن بعامة ، والإبداع الروائى بخاصة ، والتاريخ ، أحداثه وشخوصه ، لنرى مدى الفائدة التى يجنيها الفن فى استلهامه أحداث التاريخ وشخوصه بوصفهما الأرض الخصبة لعملية الإبداع الأدبى..

من ثم ، كان لا بدلنا من محاولة صنع هذه المقاربة النقدية لنتعرف بهذه العلاقة –علاقة الإبداع بالتاريخ ، وهل هذا يثرى العملية الإبداعية ويحلق بها نحو آفاق جديدة أم أن هذا الاستلهام سيحد من عملية تحليق الخيال الإبداعى للقاص أو الروائى ويحطم أدواته ويوقعه فى المباشرة أو النقل غير المسئول ؟

هذا ما ستحاول الدراسة التعرف عليه فى هذا المحور ...

المحور الثانى

الفن الروائى والتاريخ : تعالق إبداعى

لعل كتاب الرواية وعوا تميز التاريخ ، وثرائه وخطره فى عملية الإبداع الروائى فانكبوا على دراسته ، ومحاولة الاستفادة من أحداثه ، حتى ليمكننا أن نزعم: أن الرواية التاريخية تمثل تيارا قويا فى خارطة الإبداع الأدبى فى العالم منذ " ولتر سكوت " وحتى الآن .

وإذا كان حديثنا يدور فى فلك الرواية الإبداعية والتاريخية فى الأدب العربى ، فبالتالى يتمحور حديثنا حول التاريخ العربى والإسلامى منه خاصة ، فيعد التاريخ مصدرا خصبا من مصادر إبداع الشخصية فى الإبداع الروائى ، حيث يهئ المبدعين للانطلاق نحو عالمه ، وسبر أغوار أحداثه وشخوصه ، فتضحى أحداثه حية نامية ، وشخوصه متفردة ، وإن كانت ترتبط فى كنهها بالأحداث التى ولدت من خلالها ، فعبقرية الأديب الروائى الذى يلجأ إلى التاريخ تكمن فى قدرته على منح شخوصه أو (نماذجه الاجتماعية التاريخية تجسيدا إنسانيا حيا) [١] .لأن الروائى الذى ينهل فى إبداعه من أحداث التاريخ وشخوصه ، لابد أن ينصب اهتمامه على حياة الناس ، فى الفترة التاريخية التى يتناولها وبعد ذلك يجسد القدر الشائع فى شخصية تاريخية ، ويبين كيف أن مثل هذه الأحداث ترتبط بمشكلات الحاضر ، إذن عملية متماسكة عضويا إنه يكتب من الناس من تجاربهم ومن أرواحهم [٢] . فيجد المبدع لدى التاريخ ، ثراء فى الأحداث ، والشخوص ، يمده بطاقة إبداعية ، ربما لا يستطيع إدراكها فى الواقع ، لذا وجدنا إقبالا من الروائيين العرب ، والمصريين خاصة على تاريخنا العربى الإسلامى الغاص بالنماذج الحية المشرقة فمنهم من اتجه نحو التاريخ المصرى القديم (الفرعونى) [٣] ومنهم من اتجه نحو التاريخ العربى والإسلامى .

لاسيما ، منذ أن ولج الأديب النصرانى " جورجى زيدان " فيما أسماه " روايات تاريخ الإسلام " ومن بعده " سعيد العريان ، وعلى الجارم " و " عبد الحميد جودة السحار " ، " وعلى أحمد باكثير " و " جمال الغيطانى " ، ثم " نجيب محفوظ " الذى عنى بالتاريخ الاجتماعى فى مصر .. وغيرهم من مبدعينا فى عالم الإبداع فى الأدب العربى الإسلامى .

والأديب عندما يلجأ إلى التاريخ ، لابد أن يعى جيداً هذه المادة التى يتعامل معها فى التخطيط الإبداعى لروايته ، لما للتاريخ من سعة وثراء فى الأحداث

---

[١] اتجاهات الرواية المصرية ص٢٥ د/ شفيع السيد مكتبة الشباب ١٩٨٧ م مصر .

[٢] السابق ص ٢٥ .

[٣] عبد الحميد جودة السحار فى (أحمس بطل الاستقلال) ونجيب محفوظ فى (كفاح طيبة ، وراد وبيس) .

والشخصيات فعلى الرغم من هذا الثراء ، وهذه السعة التى ينبغى أن تمنح المبدع حرية الاختيار والحركة داخل إطار الحدث أو الشخصية ، إلا أن هذه الحرية محفوفة بالمخاطر ، إذ التاريخ محكوم بأحداث حدثت ولا يملك أحد تغييرها ، ومحكوم أيضاً بالعمل الفنى الذى يستعين بالتاريخ فى طرح قضية تلح على مجتمعه المعاصر إن الذى يكتب عن التاريخ كالذى يسير على حبل مشدود ، فوق حفرة عميقة ، فهو ملتزم بالتاريخ ، وفى الوقت نفسه ، مطالب بالتخلص من قبضته الحديدية ، فالكتابة عن التاريخ تستلزم وعيا بالاختيار ، ودقة فى التعبير عن الحدث الذى يبلور مع غيره الشخصية ، لأن الرواية التاريخية لا تزدهر ، أو حتى تنتشر ، إلا فى ظروف خاصة يمر بها المجتمع ، من تخلف أو ضعف أو تفشى المفاسد فى هذا المجتمع. فيعرض الكُتَّاب التاريخَ وما يزخر به من أحداث ، ونماذجَ ، ودروس ليؤنبوا الشعب الكسول ، ويحرضوه على التمرد والنهوض ، للتخلص من مفاسده ، حيث يكون التاريخ قدوتهم ، لأن التاريخ يصنع مواجهة مع الحاضره .

من هذا المنطلق تصبح الرواية التاريخية ، أو النموذج التاريخى ضرورة اجتماعية قادرة على التغيير الذى يعد وظيفة أساسية من وظائف الفن ، وليس ترفا ثقافيا ، أو لهوا يغرى الشباب بالدعة ، والتهام أوقات فراغهم ، أو حتى – كما يدعى البعض – تعليمهم التاريخ فحسب من خلال هذا النوع الإبداعى فحسب .

وإذا كان التاريخ عاملا مشجعاً لارتياد آفاق الإبداع ، نظراً (لسهولة التشكيل الفنى لمادته ،دون أن يواجه المبدع بمعاناة الخلق الكامل الروائى فى شكله ومضمونه [١] ، إلا أن ذلك يستلزم من المبدع حسا خاصاً ، ووعياً فريداً بما يقوم به، من تشكيل لهذه المادة الهائلة من معطيات التاريخ ، فعندما يتمثل التاريخ فى عملية الإبداع ، لا يعنى هذا هروبا من الواقع الماثل أمامه يعايشه فى إطار مجتمعه وليس خارجه . (فما الواقع الذى نحياه إلا امتداد لهذا التاريخ) ، الذى يصطفى المبدع نماذجه . فالتاريخ يستطيع أن يمنحنا خاصية فنية ، يمكن تسميتها

---

(١) الواقعية فى الرواية العربية صـ٥٥ د. محمد حسن عبد الله دار المعارف ١٩٧١مصر .

بـ(الإسقاط) حيث يستدعى المبدع حدثا تاريخياً ، وقع منذ زمن بعيد أو يأتى بشخصية تراثية ذات ارتباط بأحداث تاريخية معينة .

ولا سيما ، الشخصيات العالقة بأذهان الأمة بسلوكيات ، أو أفعال عظيمة فيحاول إسقاطها على أشخاص حاليين مازالوا يعيشون واقعنا التاريخى .أو يتخذه المبدع رمزا للعدول عن التعبير المباشر ، فيعيد الوعى الحضارى للأمة ، ويوقظ مشاعرها ، نحو تاريخها التليد ، ونماذجها الناضجة المشرقة ، ذات الحضور الممتلئ حركة وفاعلية فى ذاكرة الأمة ؛ لتصوغ حاضرها على منواله من حيث القوة والحضارة ذلك أن التاريخ بمثابة " ذاكرة وبقدر ما تسلم للأمة ذاكرتها وتحسن التعامل معها بقدر ما يمتد تأثيرها وتبرز قدراتها وتقوى شخصيتها ". [١]

فالروائى ، يلجأ إلى التاريخ ؛ ليربطه بما يحتمل ويقع فى مسرح الحاضر من قضايا ومشكلات ، فيعبر خلالها عن آمال الأمة وطموحاتها ذات الاتصال الوثيق بالحاضر المعاش باهتماماته وتعقيداته ، وكثيرا ما تتشابه هذه الأحداث والشخصيات فهناك (أمور مشتركة فى الحياة تعلو فوق خصائص الزمان والمكان وتلك فى الغالب هى الملتقى الذى يجتمع فيه المفكرون والكتاب من كل جنس عندما يستخدمون التاريخ فى الفن) . [٢]

وعلاقة المبدع الروائى بالتاريخ لا تقوم على القسر أو التكلف لكنها تقوم فى مجملها على التفاعل الخالق بين ذات الأديب والحدث التاريخى أو الشخصية. وذلك وفقا لوعيه الاجتماعى التاريخى بواقعه وبالدور الذى يؤديه فى هذا السياق، لأن الكتاب عندما يقدمون هذه المحاولات يقدمون النماذج الرائدة لشعوبهم فتتبلور هويتهم وتستوى شخصيتهم فيتجهون نحو مسارهم الحضارى الصحيح .

والروائى عندما يلجأ للتاريخ ، يستلهم شخوصه ،لا يكتفى بنقلها من مظانها التاريخية ، لكى يعرضها علينا دون هدف أو مغزى فنى ، من هذا النقل .. فهذا

---

[١] مجلة الأمة عدد(٤٢) جمادى الآخرة (١٤٠٤هـ) المسلمون وضرورة الوعى التاريخى - عبد القادر عبار .

[٢] انظر " الإسلام وحركة الحياة " ص١٢٨ ، د. نجيب الكيلانى .

مكانه كتب التاريخ لا الفن ، بل أنه عندما يختار الشخصية التاريخية المناسبة ، فى إبداعه الأدبى ، ينبغى أن تكون هذه الشخصية (ذات دلالة نفسية أو أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية أو غير ذلك) ثم يحاول أن يعرض تلك الدلالة فى بناء فنى متكامل تتحقق فيه السمات الفنية للرواية الناجحة [١] ملتزما تصورا متكاملا ، وصحيحا ، لهذه الشخصية فى علاقاتها مع الناس الآخرين ، ومع الكون بكل ما يحوى من مخلوقات أخرى ، فيجئ العمل الفنى متكاملا ومتساوقا متميزاً بالحيوية والصدق فى إطاريه الفنى والفكرى ... (فإن كلمات الصدق والورع والشجاعة والإيمان ، إذا جاءت بمفردها ، عارية من الإشراقات الروحية (الجمالية) التى يشعها البناء الفنى ، أصبحت مجرد كلمات مملة لا توحى بشئ). [٢]

فالتاريخ – أذن –يمنح الأديب حرية من نوع خاص ، داخل الفضاء الروائى، عند تشكيله وبنائه ، على النحو الذى يجعله قادراً على الصدع بالتغيير والتمرد، المرجو منه ، فالفن والفنان ، بهذا المستوى الواعى بمضمون العمل الإبداعى ، (يجدان لنفسيهما الوحى فى أحداث التاريخ وظواهره وأبطاله ، فيتخذان من هذه الأحداث / الظواهر / الأبطال التاريخية ، نواة ، ينطلق منها خيالهما الفنى الخلاق وينسجان حولها من رؤيتهما ورؤاهما الإبداعية ... وهنا يكون الخيال الخلاق لدى الفنان الذى يتصرف فى الشخصية التاريخية ويعدها لخدمة غرضه ، مقيداً بالإطار التاريخى العام الذى يغوص خلال أحداثه وظواهره وأبطاله، فيبدأ منها بالماثل تاريخيا وواقعيا لينطلق صوب الرمز المعنوى (المثال) ولا ضير أن يبتكر شخوصا وأحداثا فرعية فى الإطار التاريخى العام لتحقيق هدفه الفنى [٣] على أن تكون الحقائق نصب عينيه ، والشخصيات فى إطارها المرسوم والقائم فنيا وتاريخيا وعلى ذلك فإن مراعاة أسس الإبداع الفنى ، لا تعنى إهدار الحقائق ، أولى عنقها ، بما ينأى بها عن الصدق ، ويضعها فى مكان يخرج بها عن الحقيقة التى يراها

---

[١] فنون الأدب " المسرحية " ص٥١ ، د. عبد القادر القط – دار النهضة العربية ١٩٧٨ – بيروت .

[٢] الإسلامية والمذاهب الأدبية ، ص٢٥ ، د. نجيب الكيلانى .

[٣] بين الأدب والتاريخ ص١٤ بتصرف د. قاسم عبده قاسم ... كتاب الفكر (٧) دار الفكر للدراسات والنشر – أولى – ١٩٨٦ – القاهرة .

الفنان نفسه (فالكاتب بما هو فنان مبدع لابد أن يترك لخياله أن يلعب دورا مهما في رسم الشخصية، ورسمه للشخصيات ، يعتمد كثيرا على فهمه لشخصيته ، وعلى قدرته على تمثل دور الشخصية التى يريد رسمها ، وعلى تصور التصرفات التى قد تصدر عن شخصية من الشخصيات ، تحت ظروف معينة ، معتمدا فى ذلك على القياس ، ولهذا فإن حدود رسم الشخصية القصصية ، لا تقتصر على النطاق الذى تجول فيه الملاحظة المباشرة ، أو على المعلومات التى تنحدر إلى الكاتب من مصادره الثانوية ، بل يعتمد اعتمادا كبيراً ، على إدراكه لإمكانيات الشخصية الإنسانية ،ولطاقاتها الكامنة ، وهذا الإدراك يتوقف على فهمه لشخصيته وقدرته على استبطانها والفطنة إلى أحاسيسها الداخلية . [١]

من هنا ، يتعالق الفن مع التاريخ فى إبداع الرواية فينظر الأديب إلى الشخصية ، مثلا ، وينفعل بها ، أو يتفاعل معها ، من زاوية خاصة لا نستطيع أن نفصلها عن مشاعر الفنان ، ومواقفه الذاتية ، وانتماءاته الفلسفية ، والعقدية ، بل ومزاجه الشخصى ، وتأثره بوجهة نظر ذات طبيعة متميزة ، فهو يفسر التاريخ ، ويعلق عليه ولا ينقله . من ثم ، يودع أفكاره فى عمله الفنى ، خلال هذا البطل أو ذاك الحدث التاريخى المقتبس ، أو قل المعدل ، عن طريق الخيال ، الذى يمنح الأديب القدرة على صياغة المادة التاريخية بصورة معينة ، وفق منطق معين ، لأنه يرتبط بعملية التشكيل فى البناء الفنى ، تلك التى تمثل قدرة الروائى على التخيل الإبداعى العقلى الذى يصوغ المادة التاريخية ، إذ تبقى الصورة التى يرسمها ، أو يتحكم فيه هذا الخيال الإبداعى، الذى يصوره الاستدلال العقلى البحت . [٢]

وهنا ، يلتقى –عند هذه النقطة – المؤرخ بالروائى ، فكل منهما يرمى إلى رسم صورة تتألف من عدة عناصر بحيث تنطوى على حكاية أو قص الأحداث ، ووصف المواقف ، وعرض الدوافع أو البواعث ، وتحليل السلوك أو فعل الشخصيات

---

[١] فن القصة ص٩١،٩٢ يوسف نجم – بتصرف .

[٢] نقلا عن الرواية التاريخية فى الأدب العربى الحديث ص ٥٨ ، د.قاسم عبده قاسم ، د. أحمد إبراهيم الهوارى ، دار المعارف –١٩٧٩– .

فى البيئة وانفعالها بالأشياء ، كما أن كليهما يرمى إلى تقديم صورة كاملة من حيث التماسك والتناسق ، بحيث تبدو كل شخصية ، وكل موقف ،حلقة متصلة ببقية الشخصيات والمواقف ، لكى تسهم بتضافرها فى تكامل أبعاد الصورة ، فنشعر من خلال تصوير كليهما للشخصية ، أنها ما كان لها أن تتصرف فى هذا الموقف ، إلا بأسلوب معين ، ينبع من طبيعة الموقف التى تحيا فيه ، وإدراكها العقلى لهذا الموقف . [١]

وليس هذا معناه : أن يسير التاريخ مع الفن (فى الرواية)فى خطين مستقيمين ، يتوازيان ، ولا يتقابلان ، فدرجات الوعى عند المبدعين تتفاوت بين (الاستغراق فى الحدث التاريخى ، واستعادته فى نسق جمالى يدل على الحدث –وكذا الشخصية – كما وقع فى الماضى – أو تحويره بما لا يخرج به عن سياقه الأصلى ، وقد يتصاعد وعى الكاتب إلى حد امتلاك نظرة نقدية تأملية ، تتيح له قدرا من الانفصال ومن ثم قدرة على ربط الماضى بالحاضر، والوصول إلى القوانين الكلية التى تحكم التاريخ فيما نعرفه بفلسفة التاريخ)[٢].

فالتاريخ فى جملته ، ليس هو الحوادث التى تقع ، أو الحروب والثورات التى تنقد فحسب ، إنما هو (تفسير لهذه الحوادث ، والاهتداء إلى الروابط الظاهرة ، والخفية التى تجمع بين شتاتها ،وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات ، متفاعلة الجزئيات ، ممتدة مع الزمن والبيئة امتداد الكائن الحى فى الزمان والمكان ... ولكى يفهم الإنسان (المبدع) الحادثة ويفسرها ، ويربطها بما قبلها وما تلاها ، ينبغى أن يكون لديه الاستعداد لإدراك مقومات النفس البشرية جميعها : روحية وفكرية وحيوية ، ومقومات الحياة البشرية جميعها : غيبية ومعنوية ومادية ، وأن يفتح روحه وفكره وحسه للحادثة ، ويستجيب لوقعها فى مداركه ولا يرفض شيئا من استجاباته لها إلا بعد تحرج وتمحيص ونقد . [٣]

---

[١] الواقع والتاريخ ص٢٣٧/ اعتدال عثمان – فصول ٣/٢يوليو ١٩٨٢م .

[٢] نقد الرواية فى الأدب العربى الحديث ص٦٢/٦٣ ،د. أحمد الهوارى / دار المعارف – ثانية – ١٩٨٣– مصر .

[٣] من كلام للأستاذ الشهيد سيد قطب ص٢٦ مجلة الأمة عدد ٣٨/ صفر ١٤٠٤هـ نوفمبر ١٩٨٣م .

والوعى بالتاريخ ، يستلزم سبر أغواره ،وليس هيكلته وتشكيله فى عمل يقلل من أهميته ودوره الفاعل ، فى تنمية الفعل الحضارى على المستوى الرفيع ، فالتاريخ هو وعاء لفعل الأمة ، وتسجيل لحركاتها ، ومدى فهمها لقيمها واستجابتها لها ، وقدرتها على تنزيلها على الواقع. فقراءة التاريخ دون القدرة على دراسته وتقويمه بشجاعة وأمانة وموضوعية ، لا تمنحنا الرؤية الكافية لقوانين السقوط والنهوض ، ولا تمنحنا التبين والاهتداء والاتعاظ والوقاية الحضارية ، المشار إليها فى قوله تعالى (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) .[١]

فالإفادة من التاريخ ، إنما تكون بالقدرة على معايرته ، وبيان الضعف والانحراف فيه ،وتحديد أسبابهما ،واكتشاف السنن التى تحكم الحياة والأحياء، لتحقيق الدرس والعبرة ، للوصول من ثم ، إلى الحصانة الحضارية ،وتحقيق الاستجابة للتكليف الشرعى . [٢]

فالأديب عند ما يتسلل فى دهاليز التاريخ ، ينبغى أن يكون على وعى تام وإدراك واع ، بمهامه المنوطة به ، من خلال الطرح الأدبى للتاريخ، أحداثا وشخصيات ، فلا يسرف فى المباشرة والوعظ ، حتى لا يحدث الانفصام بين عمله والذين يتلقونه ويأملونه أن تحقق سعادتهم ومتعتهم ، من خلال معايشتهم لهذا العمل ، فعندما يضمر أحد الحِسَّين الفنى أو التاريخى لدى الفنان ، يحدث هذا الانفصام الذى يورث العمل الفنى الفشل ، أو الموت . فالعلاقة قائمة فى وعى المبدع ، بين إبداعه ومادته التى تشكل هذا الإبداع ، وكلما قويت هذه العلاقة بين الفن والتاريخ بين الشكل والمضمون ، منحت العمل الإبداعى الحياة والتواصل والخلود فى عالم الإبداع .

---

[١] الآيتان١٣٧،١٣٨ من سورة آل عمران.

[٢] ما بين الأقواس مقتطفات من مقدمة كتاب الأمة الأستاذ / عمر عبيد حسنة " قيم المجتمع الإسلامى من منظور تاريخى جزء أول للدكتور / أكرم ضياء العمرى/ كتاب الأمة/ عدد /٣٩ ،وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – قطر .

من خلال هذه العلاقة الجدلية القائمة بين الإبداع الأدبى ، والتاريخ ، يصبح التاريخ مصدرا خصبا من مصادر الإبداع ، لكونه غاصا بالنماذج الإنسانية ذات الحضور الطاغى على مسرح الأحداث ..

من هنا ، وجد الأدباء أنفسهم مدفوعين نحو هذا الثراء ، بوصفه مادة متسعة الجوانب ، رحبة الأبعاد ، تحدوهم دوافع فنية وفكرية من أهمها :-

١- سهولة العثور على مادة أو موضوع يصلح نواة لعمل روائى .

٢- أو إحياء للقيم والثوابت الحضارية للأمة فى عهدها المشرق ، والمترع بقيم الحب والخير والعدل والحرية والفضيلة ، فى أسمى معانيها المحصنة بحضارة الوحى ، والوعى الدينى ، والتشريعى فى صدر الإسلام ..

٣- أو محاولة لبعث النماذج الحية ذات العطاءات الحضارية الحية فى تاريخ الأمة الذى أهيل عليه التراب .

٤- أو إظهار لمواقف مشرقة ، وجوانب حية وحضارية فى تاريخنا العربى والإسلامى ، لا سيما ،ونحن نعيش واقعا مترعا بالهزائم والتضعضع الحضارى على كافة المستويات السياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية والعلمية .

٥- أو تحقيق لنوع من التواصل الفنى ، الذى يتجاوز الطرح المباشر للقضايا التى يزدحم بها مسرح الحياة .

٦- أو حماية لوجودنا فى مهب التيارات الوافدة ، تيارات الغزو الفكرى الأجنبى (فوعينا بذواتنا يقضى حتما أن نعرف ماضينا وأن حياتنا اليوم لا يمكن أن تقوم إذا بترت منها أصولها ، فلا يجرؤ واع على الزعم بإمكاننا الاستغناء عن قديمنا (تراثنا) ، لا لكونه تسجيلا لوجداننا التاريخى فحسب ، ولكن كذلك ، لما له من أثر فى تكوين ذوقنا ووجداننا على مر العصور وتتابع الأجيال . [١]

---

[١] قيم جديدة للأدب العربى ص٨،١٤ بتصرف د/ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) . دار المعرفة - أولى ١٩٦١ - القاهرة .

فى ضوء هذا التصور الإبداعى ، لعملية بناء رواية فنية ، مستمدة مادتها من التاريخ ، راح أكثر مبدعينا من الروائيين فى العالم العربى يمدوننا بفيض من طاقات إبداعية ، ينتخبون من النماذج والشخصيات ما يمكنها أن تتواصل مع الملتقين ، وهى تنبض بالأفكار والرؤى والحث المتواصل والدؤوب على تغيير الواقع الذى يدعى أنه يطاول الماضى العظيم ،فالفن الحقيقى (ما كان مزيجا من التعبير الناجح الذى يقيم بين ثناياه أفكارا حية نابضة تتسم بالإيجابية المجدية)[1] فتنطلق الشخصية التاريخية من عالم التاريخى إلى عوالم فنية مصورة ترفض القهر والتسلط وتحمل على جناحيها الدعوة للقيم والفضائل من حرية وخير وعدالة وتحفز على حسر الغبار الذى أهيل على حضارة الأمة فتتجلى النماذج النابضة الحية المشرقة والبطولات المضيئة فى حياة الأمة فالإنسان هو غاية الأدب ، وحين يزدهر الإنسان فى هذا العالم تتفجر إمكاناته ، وطاقاته الإبداعية ورؤاه الفكرية فيتدفق عطاؤه فى كل اتجاه حيا فياضا ونابضا فى مجتمعه فى زمان ومكان فيحفز الآخرين على النهوض والتمرد على كل ما هو من شأنه أن يزهق روح هذا المجتمع أو يقضى عليه من مفاسد أو ضعف ، فيمحو الخراب ، ويقضى على الزيف ، فيطلع النهار حاملا أملا مشرقا ، وطموحا جديداً ، قادراً على البناء مبشرا بالازدهار .

فالاحتماء بالتاريخ ، أو محاولة البحث والتنقيب عن شخصيات أو بطولات قادرة على تقديم نموذج إنسانى فريد قادر على المواجهة لا سيما فى زمن الخنوع وطأطأة الهامات !! هذا الاحتماء يحقق المعادلة الصعبة ، فى الزمن الصعب ، فيصبح هذا الإبداع ،طريقا أو أداة ، للتواصل الفنى والإنسانى ،الذى يتجاوز الطرح المباشر للقضايا المحتدمة فى الواقع .

من ثم ، تصبح (مهمة المبدع لا تكمن فى توصيل المعارف أو تقديم صور " فوتغرافية ميتة " لأشخاص عاشوا فى زمن سحيق ، أو حتى قريب لكنها (تكمن فى تحقيق نوع من التأثير والجمالية) الذى لا يستطيع الفن أن يصنع شيئا بدونهما ، أو يحظى هذا الإبداع بالإقناع لدى المتلقى ، ومحاولة التأثير به إلى الحد الذى يحقق

---

[1] مقدمه رواية اليوم الموعود ص٥٥/نجيب الكيلانى .

قناعة ، بأننا : قادرون على إيجاد مثل هذه النماذج ، وإثبات ذلك للآخر ، لا سيما ، فى صراعنا الأبدى مع القوى الأخرى ، من الصهاينة وأشياعهم فى كل زمان ومكان، الذين تداعوا علينا من كل صوب وحدب ، ينهشون لحومنا ، ويسرقون مواردنا، وينهبون أموالنا دون هوادة أو رحمة .كما تداعى الأكلة على قصعاتهم !!

من هنا ، يصبح تقديم مثل هذه الشخصيات _ البطولات التاريخية _ فى الإبداع ضرورة اجتماعية ، ومهمة قومية ، تحتم على المبدعين تقديم النماذج الرائدة فى تاريخ شعوبنا الإسلامية ، ذلك التاريخ المترع بالانتصارات ، والقيم الحضارية ، فى محاولة لربط حاضر الأمة بماضيها ، وخلال هذا الربط ، تتبلور هوية شبابنا وتتجه أشرعتهم نحو المسار الحضارى القويم من خلال صنع هذه المواجهة بين الواقع والتاريخ الحضارى .

والرواية العربية مليئة بهذه النماذج المشرقة المستدعاة من التاريخ الإسلامى الزاخر والممتلئ بهذه البطولات النادرة ولكن لفت نظرى من بين هذه البطولات شخصية مغمورة لم تتناولها كتابات المؤرخين بالقدر الذى يجلى مواقفها التاريخية الرائعة على الرغم من أنها شخصية قادرة فى إدائها على تقويم النموذج الإنسانى الفاعل وتستطيل من خلال مواقفها قيم إسلامية أصيلة ، نحن أحوج ما نكون إليها اليوم .

المحور الثالث
حركة البطل عبر الصراع الدرامى فى الرواية

هذا البطل ، وهو (شجاع بن شاور) فى رواية " سيرة شجاع " [١] للقاص الإسلامى الكبير "على أحمد باكثير" [٢] وهذا البطل ، على حد قول القاص باكثير (كان أصغر

---

[١] سيرة شجاع للروائى على أحمد باكثير _ مكتبة مصر _ د ت _ مصر

[٢] على أحمد باكثير : ولد على أحمد باكثير فى بلدة " سوريا باندونيسيا فى عام ١٣٣٠هـ ١٩١٠ م لأ وين حضر مين ، وما كاد أن يبلغ الثامنة من عمره حتى أرسله أبواه إلى حضر موت ، ليتعلم اللغة العربية والعلوم الدينية وعادات قومه وتقاليدهم المتعلقة بالدين والعروبة . وفى حضر موت ظهرت ميوله الأدبية فقرا كثيرا من دواوين الشعر العربى القديم كالمتنبى ، والحديث مثل شوقى .. فقد كان يتخذهما المثل الأعلى فى إبداعه حتى =

إخوته ، وأطهرهم نفسا ، وأرقهم شعورا ، وإميلهم إلى الخير والاستقامة) [1] ... هذه الصفات التى استقاها الأديب من أخباره التاريخية كما سنرى .. هذه السمات وضعت شخصية " شجاع " البطل فى بؤرة الأحداث ، وصنعت منه محورا فاعلا لإنتاج هذا العمل ... استطاع من خلاله المبدع أن يوظف هذه الشخصية لتتبوأ هذه المكانة التى اضطلع بها (البطل) فى هذه الرواية . مما حفزنى على تقديمها خلال هذه الدراسة .... من خلال رصد حركتها ، وانفعالاتها ، وتفاعلاتها ، ومواقفها ، وتطورها وتناميها من بداية الراوية وحتى نهايتها .. لتتبلور لدينا مجموعة من المحصلات أو النتائج التى تقدم نموذجا للنمط الإسلامى الذى يتهيأ لأن يكون بطلا أو أنموذجا إنسانيا ، يمكننا أن نصنعه أو نسميه " البطل المسلم " فى الإبداع الأدبى، والروائى منه خاصة ..

وهنا ، نجد أنفسنا أمام مواجهة أكيدة مع التاريخ الذى استلهم أحداثه وانتقى شخوص روايته من أنماطه المتعددة إلا أن الكاتب الحاذق يبقى له ميزة الاختيار والانتقاء الذى يخلق نوعا من الحميمية بينه وبين هذه الشخصية (البطل)

=نظم الشعر وهو فى الثالثة عشرة من عمره ، بعدها رحل إلى الحجاز ، مارا بعدن ، والصومال والحبشة ، ثم استقر بالطائف وهناك بدأت تيجش نفسه بذكريات وطنه " حضرموت " والمعاناة التى يعيشها ، فأبدع مسرحية " همام " ، ثم غادر أرض الحجاز إلى مصر والتحق بكلية الآداب ، وحصل فيها على شهادة " الليسانس " عام ١٩٣٩ م .. ثم حصل بعد ذلك على دبلوم معهد التربية عام ١٩٤٠م .. ثم عمل بعد تخرجه بالتدريس فى الرحلة الثانوية وبعد أربعة عشر عاما ، انتقل إلى وزارة الثقافة قسم مصلحة الفنون ، ثم إلى قسم الرقابة على المصنفات الفنية ..وأثناء ذلك قام بالعديد من الرحلات الثقافة منها : رحلته إلى فرنسا ثم إلى بلاد العالم المختلفة .. ثم يعود بعد ذلك إلى مصر موقع شبابه ، وملهمة خياله .. شغل باكثير أثناء رحلة حياته الممتدة ، أماكن شاغرة فى لجنة القصة ولجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر ، وعضو اتحاد المسابقات الأدبية المختلفة ، كما نال العديد من الجوائز الأدبية المختلفة عن أعماله الأدبية.. "دار ابن لقمان " ، " وواإسلاماه .. ومسرحية " هاروت وماروت" .. وفى عام ١٩٦١ م حصل باكثير على منحة تفرغ مدة عامين ، أبدع خلالهما ملحمته الإسلامية الرائعة " عمر بن الخطاب " .. (رضى الله عنه) . وهكذا ظل يبدع ويعطى ويقبل على الحياة فى حيوية ونشاط حتى وافته المنية فى الرابع والعشرين من المحرم عام تسعة وثمانين وثلاثمائة وألف من هجرة النبى (صلى الله عليه وسلم) الموافق العاشر من نوفمبر سنة تسع وستين وتسعمائة وألف من الميلاد .

[1] سيرة شجاع صـ ٢٦ .

الذى أفرد له هذا العمل الإبداعى حتى تستطيع أن تقدم رؤيته للمتلقى دون ثرثرة أو تكلف .....

فالبطل " شجاع " هو ابن الوزير " شاور " " وشاور " هذا ما احتفت به كتب التاريخ ومصادره المتعددة التى اهتمت أو عنيت بتاريخ العصر وأحداثه . فالتاريخ – كما قلنا – يعنى دائما برموز الحكم وما يدور فى فلكهم من مؤامرات وحروب وخلافه .. أى الأحداث الضخمة والشخصيات المشهورة . لكن الشخصيات التى يكون لها الأثر الفاعل فى إدارة هذه الأحداث أو الأبطال الذين يديرون رحى هذه الحروب ، وربما تضرسهم أنيابها ، قد لا يقف التاريخ كثيرا عندهم ، ولا يحتفى بهم ، وإن فعلها فر بما لمحات هنا وهناك لا تقدم جغرافية كاملة ، أو ما يمكن تسميته بـ(أنثربولوجيا) الشخصية فنتعرف عليها فى مصادرها التى يجب أن تعنى بها ، وبما أن الأدب مكمل للتاريخ فى دراسته لحركة حياة الشعوب ، ورصد فاعلياتها فى إدارة المجتمع وبنائه ، فنجد أن الأدباء يختارون نماذج ربما لم تكن واضحة الملامح فى زحمة الأحداث والشخصيات فى حقبة تاريخية ما ، إلا أنها تستطيع أن تكون أنموذجا إنسانيا يحمل من القيم والمعانى الإنسانية والأفكار ما لا يستطيع غيره فى هذا العصر أن يتحمله أو يبوح به فشخصيته ، شجاع ، هذا لم تذكره كتب التاريخ إلا فى خبر يتيم فى أشهر المصادر التاريخية لهذا العصر (الفاطمى) فى مصر . عندما دبر " شاور " خيانته لـ " أسد الدين " ورجاله عندما تأخرت نجدة الإفرنج عنه ، فقابل " شجاع " هذا التدبير بالرفض بل هدد والده " شاور " إن لم يرجع عن تدبيره هذا ، بأن يفشى سره عند " أسد الدين " كى يمنعه من الخيانة : وهذا ما حكاه "جمال الدين أبى المحاسن ابن تغرى بردى الأتابكى" فى كتابه " النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة " فقال : (... وجاء " أسد الدين " بمن معه من العساكر ، ونزل على باب القاهرة ، فاستدعاه "العاضد" إلى القصر وخلع عليه فى الإيوان خلعة الوزارة ، ولقبه "بالمنصور" وسر أهل مصر بذلك .... وأقام أسد الدين مكانة، وأرباب الدولة يترددون إلى خدمته فى كل يوم ، ويقدر " شاور " على منعهم لكثرة العساكر ولكون " العاضد " مائلا إلى أسد الدين المذكور ، فكاتب شاور أيضا الفرنجة واستدعاهم وقال لهم : يكون مجيئكم اتل دمياط فى البحر والبر ، فبلغ ذلك أعيان

الدولة بمصر عند الملك الفرنج وهو يكون سبب هلاك الإسلام ، ثم أن شاور خاف لما تأخر وصول الفرنج ، فعمل فى عمل دعوة لأسد الدين المذكور ولأمرائه ويقبض عليهم فنهاه ابنه الكامل (شجاع) وقال له : والله لئن لم تنته عن هذا الأمر لأعرفن " أسد الدين " فقال له أبوه " شاور " والله لئن لم نفعل هذا لنقتلن كلنا فقال له ابنه الكامل : لأن نقتل والبلاد بيد المسلمين خير من أن نقتل والبلاد بيد الفرنج ....

هذا الخبر الذى ذكره (ابن تغرى بردى) عرضا عن هذه الشخصية وسط الحشد الهائل من الأخبار عن والده " شاور " وزير الدولة آنئذ ربما هو الذى ساعد الكاتب فى رسم ملامح هذه الشخصية حاول الكاتب أن يضيف إلى هذا الخبر أخبار أخرى كثيرة لا تتعارض مع هذه الرؤية التاريخية لهذا البطل . وهذا ما سنلمحه فى تتبع الشخصية وتعالقها مع الأحداث فى الرواية .

أما " شاور " أب شجاع فالتاريخ يرسم له صورة مخزية مليئة بالمؤامرات والخيانات ، والوصولية ، وهذا ما ركزت عليه الرواية أيضاً ، كى توجد خطا للصراع الدرامى فى الرواية ، ويتتابع البناء شيئا فشيئا حتى نصل إلى النهاية .. فلذا تجدنا بمواجهة سؤال إذا كان هذا دأب " شاور " الأب فى الرواية وهذه أخلاقه الدنيئة التى تتلائم مع من يتولى وزارة دولة تعد ركنا من أركان الخلافة باسم الإسلام الذى تدعى صيانتها للدين ، وتحكم الناس بمنهجه ومبادئه ... إذا كانت هذه أخلاقه وتصرفات فلم لم يكن الابن " شجاع " سر لأبيه " شاور " فهو نبع منه ، فيعينه على ظلمه ، ويسانده فى إنجاح خياناته ومؤامراته ، ولا سيما والتاريخ يذكر أن لشاور ثلاثة أبناء منهم " شجاع " هذا ، أما الآخران ، فهما (طىء وسليمان) كانا عونا لأبيهما على ما يفعل وكذلك كان أبوهما يدفعهما إلى السير فى ركابه ، وكانا يستجيبان لرغائبه فيضعف أمام تصرفاتهما ، لأنهما يحققان أهدافه ، ويترجمان عن نوازعه البغيضة : " كان ضعيفا فى محاسبة أبنائه . فاستغلوا نفوذه وسلطاته ، فأطلقوا أيديهم فى أموال الدولة وأموال الشعب بما يتحيفون من الأوقاف أو الصدقات العامة ، ويتقبلون من الرشاوى والهدايا على قبول الشفاعات وتولية المناصب وتنفيذ الأحكام وجر المغانم ، أو دفع المغارم ، وجرى على آثارهم فى ذلك بعض حاشيته وبطانته حتى صح عقلاء الأمة منهم وكان شاور يسمع ويرى ولكنه

كان يتغاضى عنهم . فإذا عوتب فى ذلك انتحل لهم المعاذير ، أو وعد أنه سيردعهم عن ذلك ، ولكنه لا يفعل شيئا حتى إذا اشتد النكير عليه من بعض خواصه قال له :

- دعوهم هذه دولة أبيهم .. فإذا لم يجمعوا فيها .. فمتى يجمعون ؟

ثم يقول لهم :

- حدثونى عن وزير واحد لم يأخذ أبناؤه وحاشيته من أموال الدولة فى عهده شيئا.. [1]

- فشجاع كان طرازا أخر يختلف عن أبيه وإخوته فيما يفعلانه فى شئون البلاد ، وطريقة إدارتهما للوزارة ، وهذا ليس بغريب فالواقع كما قلنا - متخم بمثل هذه الإفرازات الإنسانية المتصادمة فى الأسرة الواحدة فالأب يختلف عن أبنائه ، وربما اختلف الأبناء فى سلوكياتهم عن أبيهم ، بل يتخالف الأخوة فيما بينهم، ويتباينون فى سلوكياتهم وتصوراتهم وطرق تعاملهم فى الحياة ، وأسرة (شاور) ليست بدعا من البشر !! هذا ما صوره كاتب القصة ليعزز به موقف شجاع المستقيم الذى لم يشارك أباه وإخوته فى انحرافاتهم المشينة وهذا ما يعلى من شأن " شجاع " ويجعله أهلا ليكون بطلا إسلاميا ناصع الطهارة ثم أن الكاتب أوجد مخرجا لهذه المشكلة التى يقتنع بها بعض المتلقين ، وإن كان الأمر لا يقتضى فى وجوده جدلا فإنها حقيقة ، شهد بها الواقع التاريخى لهذه الأسرة الأب خائن متآمر والابن يرفض هذه الخيانات من أبيه . إلا أن الكاتب أوجد بين " شجاع " وأحد رموز العمل الوطنى علاقة حميمة كانت لها الأثر فى توجيه الابن (شجاع) إلى وجهته هذه التى وجد عليها فى العمل الأدبى ... إذ كانت تربط أسرة " شاور " بابى الفضل علاقة مصاهرة وأبو الفضل هذا رجل يتمتع بخلق طيب وعاطفة جياشة بحب الوطن والإخلاص له والمعاناة لأجله ..

---

[1] سيرة شجاع ص ٢٥ .

- " أبو الفضل هذا فيما يعرف الناس تاجر كبير من تجار الحرير لا تقتصر تجارته على القطر المصرى وحده ، بل تبلغ إلى بلاد الشام والعراق وإلى الحجاز واليمن وطرابلس الغرب وله عملاء من تجار تلك البلاد يراسلهم ويراسلونه ويتبادل معهم البضاعة والسلع ... ولكنه فيما يجهل الناس ثائر قديم يضطرم غيرة على وطنه مصر خاصة ، وعلى بلاد العرب والإسلام عامة ، وهو يتلظى سخطا لما وصلت إليه الحال فى بلده من طغيان القصر وفساد الحكام من الوزراء والمستوزرين وبغى الجند وضياع مصالح الشعب. فإذا خلا إلى خاصة أصحابه ممن يثق بهم اندفع كالبركان يندد بهذا الفساد ويدعو إلى تغيير الحال وينذر بسوء المصير ولكنه حريص على الكتمان يبالغ فى الحذر والحيطة ويؤمن أن النجاح حليف السعى الدؤوب المتواصل .. [١]

- وكان دائم النصح للوزير " شاور " حتى عندما أطلق يد أبنائه فى الدولة ونهب أموالها كان ينصحه ، حينا ويلومه أحيانا، وعندما لم يجد منه إنصاتا فى كثير من المواقف، إلى نصائحه أخذ الرجل ينصح لأبنائه جميعا ويعنفهم على ما يفعلون (فكان طىء وسليمان يعدانه بالكف مرة بعد مرة دون أن يكفا ثم صارا يتهربان من لقائه لئلا يحرجهما أو يحرجاه ولكن شجاعا وهو أصغر الثلاثة استمع لنصحه فكف أو اقتصد لأنه كان أطهرهم نفسا. وأرقهم شعورا ، وأميلهم إلى الخير والاستقامة ولنه كان كثير التردد على "بيت أبى الفضل " شديد الإعجاب به ، والتوقير له ، ولأنه فوق ذلك كله كان يحب سمية [٢] "وسمية" هذه الابنة الوحيدة لأبى الفضل زوج خالته ..

فلعل إعجابه " بابى الفضل " الثائر ، وتوقيره له وحبه لابنته ، الجميلة " سمية " مضافا إلى ذلك ميله الفطرى إلى الاستقامة والصلاح والتقى .. خلقت هذه الأسباب مجتمعة من "شجاع" شخصية أخرى مختلفة عن أبيه وأخوته فمثل هذه الأمور إذا اجتمعت لإنسان ما ، طالما وجدت لدية الرغبة فى ذلك ، خلقت منه نمطا

---

[١] انظر سيرة شجاع ص ٢٣ ، ٢٤ .

[٢] انظر سيرة شجاع ص ٢٦ .

مختلفا عن البيئة التى يحيا فيها والناس الذين يعيش بينهم فكمـ' يقولـون " الحـب يصنع المعجزات !! وإن كنت أرى فيه عاملا مساعدا فهذا التكوين المتشعب الجـذور صنع من هذه الشخصية نمطا وأنموذجا إنسانيا حضاريا ، كان مهيأ أن يحمل أفكـار الأديب نحو رسم ملامح هذا الواقع التاريخى المضطرب ، وتفاعله مع هـذا الواقـع بمهادنته والبحث عن وسائل تغييره حينا ، أو التمرد عليه ومحاولة تحطيمه لإقامـة مجتمع نظيف يساس فيه الإنسان ، بمنهج ينبع من الإسلام وسياسته للمجتمع ،فـى شتى مناحيه المختلفة أحيانا .. لا سيما ، وحركة المجتمع وسياسته تمثل خطرا علـى الواقع المعاش ، هكذا كانت ، وما زالت ، كل المناحى الأخرى تتبع حركـة التوجـه السياسى فى أى مجتمع .. و ها نحن نرصد هذه الحركة التـى رسـمها الكـاتب ، لتتضح أمامنا معالم الرؤية التى اختارها الكاتب ، لتحكم بناء شـخصيته وإفرازاتـها المختلفة ، من الأحداث والمواقف المتباينة على امتداد الفضاء الروائى الممتد عـبر عصر تاريخى أو حقبة تاريخية ، اضطرمت بالصراعات والمناوشات المتعددة ،للفـوز بالوزارة السياسية مصالح المسلمين ، كما كان يفعل " شاور " وأتباعه ..ز فأول مـا يواجهنا فى تتبع حركة البطل فى هذه الرواية هو عنوانها " سيرة شجاع " فكلمـة " سيرة " تضعنا من الوهلة الأولى داخل نوع من الكتابة الفنية ، ربمـا يختلـف فـى صياغاته عن نوعيات أخرى فى تقنيات الإبداع الروائى ، وهو : "فن السيرة الذاتية " لا سيما إذ كان البطل الذى تَسمَّت الرواية باسمه ، هو الـذى تولـدت مـن خلالـه الأحداث . فبدأت منه ، وانتهت إليه ، فيوحى هذا العنوان ، أو تلك التسـمية ، بـأن الروائى : يضعنا أمام " سيرة ذاتية " لهذه الشـخصية (البطـل) شـجاع .. إلا أن الكتاب (على أحمد باكثير) لم يفد من هذه التقنية التعبيرية ،إفادة كاملة . إذ كـان عليه أن يجعل الشخصية هى التى تكشف عن نفسها ،وتتحـدث "بضمـير المتكلـم" ويثبت على لسانه الأحداث .. أما هو ، فلم يكن له من هذه " التقنية " إلا اسـمها !! فالرواية أديرت بطريقة ما يعرف لدى النقاد :" الرؤية "من خلف وفيها يكون الروايـة هو الصوت العالم بأحوال وفضح سلوكياتها أو يبرر مواقفها فـهو "ذات مهيمنـة" ، توجه الأحداث نحو القناعة التى يريد أن يقنع بها المتلقى ، ويتوسل لذلـك "بضمـير الغائب" فى عملية "الحكى" لما لهذا الضمير من رحابة حكائية قادرة علـى الإمسـاك بكل العناصر تتحرك داخل الإطار القصصى فهو صوت سـلطوى يتحسـس القـارئ

اليقظ، وجوده ، فى كل وحدة سردية ، أو حوارية . لكنه صوت ذكى يجنب نفسه نفور القارئ ، فيتحايل على هذا ، بكل أفانين الكتابة والإيحاء ، حتى يخضعه فى النهاية للموقف المروم [١] فيبدع " باكثير " هذه الرواية من خلال صوت واحد ، يهيمن على كل شى ، ويوجه الأحداث كما يريد ، رغبة منه فى إقناعنا بما يريد .

فالروائى " باكثير " عندما يوغل فى عالم إبداع هذه الرواية ، يرصد حركة البطل المسلم " شجاع " ويضعه فى إطاره الذى يهيئه لمسئوليته ، نحو أبيه ، وطنه ومجتمعة ، فيقول :

ولكن " شجاعا " وهو أصغر أبنائه الثلاثة قد استمع للنصح " فكف أو اقتصد" ؛ لأنه كان " أطهرهم نفسا وأرقهم شعورا وأميلهم إلى الخير والاستقامة" !!

فهذا هو البطل المسلم ، وإن كان جارى فى بداية حكم والده " شاور " جارى أباه وإخوته ، فيما كانوا يقومون به من نهب ، وسلب ، وجور ، حتى أن أبا الفضل عندما لام " شاور" وأنكر عليه ما كان يحدث منه ، كان يبرر ذلك ويسترضيه قائلا :

يا أخى يا أبا الفضل إنك ترانى لم أجمع لنفس شيئا أما أبنائى وهم أبناؤك فليسوا ملائكة وهم يرون نظراء هم من أولاد الوزراء فلا يريدون أن يكونوا دونهم وعامة الناس بخير لا يشكون شيئا وما يلغط بالنكير والتشهير غير الحساد .) [٢]

فالبطل وإن كان استحق اللوم والتأنيب ضمن أسرته التى أطلقت يدها فى كل شى إلا أنه سرعان ما استجاب للنصح وتحول من ارتكاب المخازى إلى حياة الطهر والنقاء والاستقامة وهذا يضعنا أمام حقيقة ساطعة هى أن البطل المسلم إنسان كأى إنسان بشر قبل كل شى يخطى ويصيب يفعل الشر كما يفعل الخير إلا أن هذه لا تعد

---

[١] راجع : "الشخصية الإسلامية فى الرواية المصرية الحديث وقيمتها فى العمل الفنى "ص ١٦٤ رسالة دكتوراه مقدمة من الباحث لكلية اللغة العربية بأسيوط عام ١٩٩٦ ..

وهناك عدد فروق فنية بين أسلوب السيرة الذاتية والعمل الروائى ، يراجع فيها البحث نفسه ص١٦٢،١٦٣.

[٢] انظر –سيرة شجاع ص ٢٦

أن تكون لحظات ضعف أو سقوط مرضى ينبغى أن يهتف له بالنهوض منها ينصح بتعاطى الدواء حتى يشفى من هذا الداء تلبسه فى وقت ما فى لحظه الضعف هذه .. فالتحول من الشر إلى الخير ، علامة صحة ، وانتصار للذات الإنسانية التى وقعت يوما ما ، فى سقطة ، أو فعلت سلوكا منحرفا يتنافى مع تصورها، أو اعتقادها الذى يحكم حركتها فى الحياة فشجاع ، وأن كان ترك نفسه حينا للسقوط ، إلا أنه سرعان ما استجاب لفطرته النقية ، واستعاد توازن نفسه ، فاستمع للنصح ، فاقتصد ، واستقام ، وذلك لأن الشر طارئ فى النفس الإنسانية ، إنما الخير ، فهو أصيل ، فطرة فيها .

فالإسلام عامة ، والأدب الإسلامى الذى ينهل من معينة الثر خاصة ، يعنى بالحياة الإنسانية فى شمولها قوة وضعفا هبوطا وارتفاعا تجليا وانحطاطا ، فلا يهمل إلى جانب السمو والارتقاء ، لحظة الهبوط أو الانهيار ، ولكنه إذا كانت الحالة كذلك ، فلا تعرض حالة الضعف إلا فى إطارها الحقيقى ، دون إغراء بالالتصاق بها ، أو الانغماس فيها ، فلا يسجلها إلا على أنها لحظة ضعف طبعى مرتكس فى ذات الإنسان وخلق الإنسان ضعيفا[١] نهتف لصاحبها بالنهوض منها والاستعلاء والتمرد عليها فنستنهض فيه همة المسلم ونحفز فيه آليات الفطرة التى فطره الله عليها لا تبديل لخلق الله .. (فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم)[٢] فالبطل " شجاع " آب إلى فطرته ، وبدأ يستعيد توازنه ، ويقف على بداية الطريق المنضبط بالتصور الإسلامى فى حركته ، داخل الإطار الإبداعى ، أو عالم الرواية. ومن هذا المنطلق ستتواصل انتصاراته على ذاته ، عبر حركته ، وتفاعلاته، مع الشخوص الآخرين ، وتجاه الأحداث ، والمواقف التى تتوالد ، وتتزاحم ، عبر عملية الإبداع ..

" فشجاع " ، هذا البطل عبر حركته ، فى بناء الرواية ، نجده فى المواقف التى يعرض لها ، أو تعرض له ، يحاول البطل أن يعالجها بحكمة وحنكة ورويـة ،

---

[١] سورة النساء الآية (٢٨) قال تعالى : (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا)

[٢] سورة الروم آية (٣٠)

تنطلق فى نزعة إنسانية خالصة ، مردو دها إلى العقيدة الإسلامية التى يستشـــعرها فى كل نبضة قلب أو حركة حاسة ، فى ذات هذا البطل وكأنها ترجمة للفطرة النقيـــة التى فطره الله عليها حركة محسوبة . كل همسة ولمسة فيها تنبـــع مـــن التصـــور الإسلامى ، المنظم لها ، حتى أن هذا الخلق القويـــم والتفـــوق الأخلاقـــى ، انتزعـــا إعجاب عدو أبيه ، " ضرغام " الذى أدهشته همته ومروءته وإباؤه وشممه ،فـــاعتذر إليه عما بدر من جنده نحوه ، وأهله ، فيطلب إليه أن يقترح عليه ما يشاء وهو مـــا يزال أسيره ...!!

- ربما أطلب منك شيئا يعز عليك ..

- فتوقف ضرغام هنيهة وجال فى ذهنه أنه قد يطلب إطـــلاق ســـراحه فـــهم أن يستثنى ذلك من الطلب ولكنه لم يفعل بل قال له :

- كلا ، لن أضن عليك بما فى مستطاعى ..

- فتهدج صوت شجاع وهو يقول :

- إذا فهل لك يا "ضرغام" أن توصى رجـــالك بـــأمى خـــيرا ، فلايـــز عجوهـــا ولا يروعوها فوق ما أصابها من الكريهة والثكل ؟ !

- ولم يكد يتم كلمته حتى غامت عيناه بالدمع فتأثر "ضرغـــام" لمـــا رأى وســـمع وعَضَّه الندم على ما كان من رجاله الليلة البارحـــة إذا فتشـــوا بيـــت "شـــاور" فروعوا من فيه .

- فقال شجاع وهو يمسح دمعة متجلدا :

- ألان استوجبت شكرى يا أبا الأشبال .. فشكراً لك ..

- أما عندك طلب آخر ؟!

- لا وأشكرك ، حسبى هذا منك ..

فياله من بطل يقع فى الأسر ، ويوقن أنه فى يد عدو والده وقـــاتل أخويـــه "سليمان وطىء" وربما يلحقه بهما ، إلا أن همته وشجاعته يأبيان عليه أن يفكر فـــى نفسه أو يحتال إلى ذلك أو يطلبه فيحتمل ألم السياط والتعذيب والأسر ، لقاء كتمانـــه سر أبيه الذى فر إلى دمشق ، وعندهم ما تسمح له فرصة فى الحياة ، يطلبها لأمه.. أمه الذى يعلم أن جند " ضرغام " روعوها وأسالوا دموعها على فلـــذات أكبادهـــا، فيالها من "شجاعة" يؤثر أمه على نفسه ، وهذا خلق إسلامى رفيع ، أصبـــح اليـــوم نادر إن لم يكن مهدرا فالشباب المسلم اليوم لا يشغله إلا نفسه كيف ينجو بـــها دون الآخرين ؟! ولذا وجدنا شيوع عبارات أنانية فى الخطاب الاجتماعى والسياسى لـــدى شباب الأمة من مثل (أنا ومن بعدى الطوفان) ، (نفسى وليهلك الآخرون !! وأنـــا مالى .. ؟! ...

كل هذه العبارات التى أصبحت مرسوخة فى ذوات شبابنا ، تنبئ عن خطورة ماثلة فى حياتنا الملونة بقيم ومبادئ لقيطة ، لم تعرف لها جذور ، وفى هذه الأثنـــاء يلقى " شجاع " البطل من "ضرغام" ما يسعده ،ويرضى نفسه ،المتطلعة إلى الحـــق ، فيرى فيه " ضرغام " رأيا يخالف رأى أبيه ، الذى فر إلى دمشق يستنجد بـــ " نـــور الدين " ويستعديه على " ضرغام " لقاء ثلث خراج أرض مصر ومعاونتهم فى حـــرب الفرنجة .

"وضرغام" هذا كان نائبا للباب وأراد له الخليفة " العاضد " أن يحل محـــل " شاور " لا سيما عندما فشا ظلمه فأغرى به " العاضد " أبا الأشـــبال " ضرغـــام بـــن عامر بن سوار " الملقب بـــ(فارس المسلمين) اللخمى المنـــذرى ،نـــائب البـــاب ، فخرج عليه بجموع كثيرة ، وغلبه وأخرجه من القاهرة ، وقتل ولده طيـــا ، وولـــى الوزارة مكانة [١] إذا ما يحكيه ابن تغربردى فى نجومه الزاهرة فيقول : [٢]

- وتولى " شاور " الوزارة فعامل " العاضد " بأفعال قبيحة ، وأساء الســـيرة فـــى الرعية ، وأخذ أمر مصر فى وزارته فى إدبار ، ولما كثر ظلمه ، خرج عليه أبو

---

[١] راجع : وفيات الأعيان ص ٢ م ٤٤٠ لابن خلكان .

[٢] راجع : النجوم الزاهرة ٥٠٠ م ٣٤٦ / ٣٤٧ .

الأشبال " ضرغام " من الصعيد ، وقيل من مصر . وحشد عسكره فخرج إليه شاور بدسته فهزمه ضرغام وقتل ولده الأكبر " طيأ " وخذل أهل القاهرة شاور لبغضهم له فهرب شاور إلى الشام ودخل إلى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى المعروف بالشهيد فالتقاه نور الدين وأكرمه فطلب شاور منه النجدة والعساكر وأطمعه فى الديار المصرية وقال له : أكون نائبك بها واقنع بما تعين لى من الضياع والباقى لك فأجابه نور الدين لذلك وجهز له العساكر مع الأمير أسد الدين شيركوه بن شادى الكردى أحد أمراء نور الدين وخرجوا من دمشق فى العشرين من جمادى سنة سبع وخمسين وخمسمائة وكان مع أسد الدين شيركوه ابن أخيه " صلاح الدين بن يوسف بن أيوب " فى خدمته ، فلما وصلوا إلى القاهرة ، خرج إليهم أبو الأشبال " ضرغام بن عامر بن سوار " فحاربهم أياما ووقع بينهم حروب يطول شرحها إلى أن التقوا على باب القاهرة فحمل "ضرغام" بنفسه فى أوائل الناس فطعن وقتل واستقام أمر " شاور " فكانت وزارة " ضرغام " تسعة أشهر واستولى شاور ثانيا على القاهرة وكان خبيثا سفاكا للدماء ولما ثبت أمره ظهر منه إمارات الغدر " بأسد الدين شيركوه " .كما سيتضح فيما بعد. "فشجاع" بطل فى هذه الأحداث الدامية التى تفاقمت بين . أبيه " شاور " " وضرغام " قبض عليه ضمن من قبض عليهم من أسرة " شاور " الذى كان يتبعهم " ضرغام " إلا أن " ضرغاما " على الرغم من عداواته التى يكنها لأبيه ، إلا انه كان يرى فى هذا الغلام رأيا يختلف عن رأيه فى أبيه واخوته فأكرم سجنه ، وأخرجه من حبسه ، وأنزله فى دار الوزارة بعد فرار أبيه ، بل أنزله فى الحجرة نفسها التى كان يقيم فيها فى عهد أبيه ، بل أنزله فى الحجرة نفسها التى كان يقيم فيها فى عهد أبيه قريبا به . حتى يتمكن من الدخول إليه بين الفينة والفينة ، يقضى معه بعض الوقت يؤانسه ويسامره ويطيب خاطره ..

- (أتدرى يا شجاع لماذا صنعت بك هذا من دون إخوتك ؟

- فأجابه شجاع فى شىء من السخرية .

-لعلك تعمل بسنة الأريحيين الكرام إذا ملكت فأسجح. [١]

- كلا يا "شجاع" لو كنت كذلك لأبقيت على إخوتك أيضا ولكنك أسديت إلى يدا فأرادت أن أجزيك عليها .

- أى يد تعنى ؟

- إن كنت حقا لا تذكرها كان ذلك أعظم لك فى نفسى .. ألا تذكر كلمة قلتها لأبيك يوم أراد أن يقصينى من منصبى فى قيادة العسكر ؟

- بلى تذكرتها من بعض من حضر فحفظتها لك ..

- ولكنها لم تصنع لك شيئا ...

- هذا ذنب أبيك وليس ذنبك وأنا لا أنسى الحسنة يا "شجاع" ، كما لا أنسى السيئة .

وسكت ضرغام قليلا وهو ينظر إلى الفتى كأنه يريد أن يتبين أثر كلامه فيه فرآه قد وجم وسرح ذهنه فى أودية الفكر فقال له :

- إن كنت ترغب فى شىء فاقترح ما تشاء أجبت إليه فى الحال .

- قد جزيت الحسنة بالحسنة فما بقى لى عندك شىء .

- بل أقترح ما تشاء فما جزيتها لك بعد .. [٢]

---

[١] هذه العبارة تعنى : إذا ملكت فأعف وأحسن فى عفوك " ويقال أن عائشة " أ م المؤمنين (رضى الله عنها) قالتها لعلى بن أبى طالب (رضى الله عنه) يوم وقعة الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ثم كتمها بكلام فأجابته : ملكت فاسجح : أى ظفرت فأحسن لسان العرب ز مادة : سجح

[٢] راجع : سيرة شجاع ص ٣٨ ، ٣٩ .

فالبطل ينجذب إلى أبيه ، ويقف معه ضد عدو ، لأنه يرى أن الوزارة حق لأبيه ، قد ولاه عليها خليفة البلاد ، أو أميرها ، جاء " ضرغام " لينتزعها منه وهذا أمر طبعى إلا أنه وبرغم تعرضه للسجن ومهاناته ، إلا أنه لم يتذكر هذه اليد التى قدمها لعدو أبيه فيذكره بها فهمته وكبرياؤه وإنصافه يمنعانه من مطالبته بما قدمه له حتى عندما ذكره ضرغام بها لم يأبه لذلك ، أو يطلب بها الإفراج عنه حتى أنه ليراجع نفسه ويستعرض الأحداث فى ما يشبه المنولوج الحوار النفسى الطويل يحاول أن يتبين ملامح الأحداث والاضطرابات وما يدور حوله بين هذين الرجلين (ضرغام وشاور) وصراعهما على كرسى الوزارة دون النظر إلى ما وراء هذه المسئولية وواجباتها ..

وخلا " شجاع إلى نفسه وقد أسره " ضرغام " برقته ومروءته ، حتى كان قلبه يميل إليه ، لولا أنه تذكر انه عدو أبيه اللدود الذى طالما ناصبه العداء ثم وثب عليه واغتصب منه كرسى الحكم هو اليوم شريد طريد مجهول المصير وهل يستطيع أن ينسى أنه ذبح شقيقه طيئا وسليمان ، ليطفئ نار الانتقام فى نفسه .. وماذا تكون حال أمه الواهنة العجوز إذا بلغها مصرع ابنها فى يوم واحد ولعلهم قد أبلغوها!! فهى الآن تعانى وحدها أشد الكرب ، وأمض الثكل ، لو أنهما صرعا فى الميدان ، لاحتمل الخطبُ ولأمكن العزاء ، إما أن يذبحا وهما فى القيد كما تذبح الأنعام فجرح غائر فى القلب ليس إلى إندماله سبيل ..!!

ولكن خيال "ضرغام" يعود فيتمثل أمامه جميل الطلعة وضاح الجبين ينظر إليه فى عطف ويعتذر إليه فى رقة ويتودد إليه فى صدق وإخلاص ويسأله أن يقترح عليه ما يشاء فى لطف ، ثم يجيبه إلى ما يسأل فى أريحية وكرم ، وقد ذكره بكلمة قالها يوما فيه يقصد بها الأخير أبيه ولكن ضرغام عدها يدا تجزى ولا تنسى أفيستحق البغض رجل .. هذا نعته وهذه شمائله ؟ !.

- عدو لأبيه ؟ نعم ولكن أباه أيضا قد عاداه وأقصاه عن منصبه..

- انتزع منه الحكم ؟ أجل ولكن أباه أيضا قد فعل هذا مع رزيك .

قتل طيئا وسليمان ؟ ترى ماذا كان يفعل أبوه لو ظفر بـ حسام وهمـــام [١] وانطلق فكره يوازن بين الخصمين من حيث لا يشعر ،كأنما ليعلم أى الرجلين أجـــدر بهذا الكرسى الذى كان التنافس عليه سبب كل ما يحدث ولكن ميزانه لم يلبث أن مال به الهوى فى كفة أبيه فقد أخذت ذكرياته مع أبيه تنتفض فى ذهنه من خلال عشرين عاما أو تزيد ، حاملة فى أعطافها صورا لا تحصى من عواطـــف الحـــب والحنـــان ودلائل الرعاية والعطف متواشجة مع ذكريات أمه الحبيبة فى موكب واحد منذ كـــان طفلا يدرج فصيبا يلعب فيافعا يحلم ويتفتح فشابا يخوض غمار الحياة ويحب.... [٢]

وكان الأجدر بالروائى ألا يتخذ مقعد " الراوية " هنا ، ويسرد لنا مـــا كـــان يجول فى نفس البطل من مواقف متباينة تخلق صراعا لم يكـــن علـــى درجـــة مـــن السخونة فلو كان الروائى ترك هذا المقعد للبطل نفسه تتجول هـــذه الأفكـــار وتلـــك المواقف المختلفة فى ذاته لكان حوارا نفسيا شديد الحرارة والتدفق فينتـــج صراعـــا موارا يفصح عن هذا القلق الذى ينتابه ويستبد بنفسه وأحاسيسه ومشاعره فتدخـــل الكاتب حد إلى درجة كبيرة من تدفق هذا الحوار ومصداقيته أو ذلك . فالكاتب بتدخله هذا صنع فجوة بين المتلقى والبطل حتى أننا لنحس باصطناع هذه الأحـــداث وليـــس وقوعها فى نفس البطل بالدرجة التى تمنحه الصدق والقدرة على التـــأثير وتمنحنـــا نحن المتلقين الإقناع بما يدور أو يقع فى نفس البطل .

فعلى الروائى عندما يشرع فى استخدام مثل هذه "التقنيات" الإبداعية أن يثـق بشخوصه كما يثق فى الوقت نفسه بقارئه الذى اختار هذا العمل ، والمتلقـــى علـــى صورة ما ، وعلى الرغم من هذا التأرجح الذى صوره الكاتب بأسلوبه المباشر هـذا . إلا أن نفس البطل تخلصت من هذا التأرجح ، ومال ميزانها مع أبيه ، وهذا أيضـــا ، قد يبدو تصرفا طبيعيا ، وإن كان البطل وازن بين الرجلين فتوازيا معا فـــى قـــراره نفسه ، إلا أن عاطفته ووجدانه مالا به نحو أبيه ، وهذا الميل فى حينـــه لـــم يمثـــل خطرا حقيقيا فى مجريات الأحداث فالأمور أكبر مما يتصوره هذا الإنســـان فحصـــول

---

[١] حسام وهمام أشقاء لضرغام ..

[٢] انظر : سيرة شجاع ٤٠ ، ٤١ .

أيهما على كرسى الوزارة ليس هذا هو المهم أما الأمر الجليل هو من يصلح للقيام بأعباء هذا الكرسى ويؤدى حقوقه ويضطلع بمهامه وواجباته فالعاطفة هنا هى التى قادت البطل إلى حيث الانحياز إلى أبيه والإسلام بوصفه دينا حقيقيا لا ينكر هذه العاطفة وميولها فنبى الله نوح (عليه السلام) كان يعلم ما يأتيه ابنه من معاص ومنكرات ، إلا أن عاطفة الأب التى جاشت بالحب على الرغم مما كان عليه فعندما فاضت المياه وتلاطمت الأمواج وغمر الماء الأرض والجبال (ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) [١] فعاطفة الرجل ومشاعره ، وأحاسيسه ، قادته نحو هذا النداء برغم يقينه أن ابنه عاص وهو مع الكافرين .. وليت الأمر وقف عند هذا ، وكفى !! واقتنع بما ينتظر الابن من مصير محتوم ، سبق الحكم فيه .ولكنه لم ييأس . لا سيما عندما انتهى الأمر وهلك من هلك ، وحيى من حيى ، وجاء وقت الحساب نرى عاطفة الأب تشبب بحب ابنه مره أخرى ، وتشفق عليه من مصيره الذى ينتظره (ونادى نوح ربه فقال رب أن ابنى من أهلى وأن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) .[٢]

فالعاطفة ، قد تتغلب على العقل فى قياس الأمور فى مواقف كثيرة . لا سيما إذا كان الأمر يتعلق بالأب وابنه أو العكس وليس هذا إنكاراً للحق أو إعلاء من شأن الباطل ولكن على الرغم من يقين الإنسان بان الحق حق والباطل باطل .. إلا أننا نود ونحب ألا يقع ممن تربطنا بهم مثل هذه الصلات ألا يقعوا فى الباطل وأن يكونوا دائما على الحق فهذه الأمانى قد تقوى وتتجسد فى واقع ربما نميل معه فى لحظات ضعفنا أمام من نحبهم ونرجو لهم الخير دائما ... فنكون معهم ولو كانوا فى اتجاه غير الذى نحب .

فالبطل على الرغم من اقتناعه بأن "ضرغام" قد يكون محقا فيما يفعل فى هذه الظروف التى صنعها الصراع إلا أن ضعفه الغريزى نحو أبيه وعاطفته تجاهه،

---

[١] سورة هود آية (٤٢) .

[٢] سورة هود آية (٤٥) .

مالا به إليه فتعلق به أملا فى أن يد من أبيه ما تقربه عينه ويطمئن لـــه قلبـــه فـــى صراعه هذا مع الآخرين .

وعندما فر " شاور " إلى الشام وعرف بذلك " ضرغام " وذهب إلى " شـــجاع " يخبره بذلك ويسمع لرأيه فى الأمر نجد " شجاعا " يبدى من الصدق والشـــجاعة ، ما يجعل عدو أبيه يدهش لصنيعه هذا ، وهو الأعزل السجين الذى لا يملك حـــولا ولا قوة فقد يفقد حياته حيال صدقه هذا ، إلا أنه آمن بالصدق منجيا له ولو كان فى ذلـك حتفه ..

- (ثم قال له ضرغام) :

- ووالدك يا شجاع ألا تحب أن تعرف أين هو اليوم ؟

- فاضطرب شجاع قليلا ثم قال :

- أين ؟

- فى الشام ..

- الحمد لله ..!!

- كأنك كنت تعلم من قبل أين توجَّه ؟

- نعم ..

- فلم لم تزعم لنا أنه توجه إلى الصعيد فتضلنا بذلك عن حقيقة مقصده كمـــا فعـــل أخواك .

- غفر الله لهما كانا يظنان حقا أنه توجه إلى الصعيد .

- أنت وحدك الذى كنت تعلم الحقيقة ؟

- نعم ..

- فنظر إليه ضرغام مليا كأنه لا يصدق ما يسمع..

- إن كنت يا ضرغام " قد ندمت الساعة على أن لم تستخرج السر منى بالقوة والتعذيب ، فاعلم أنى ما كنت لأبوح به ولو عذبتنى حتى الموت ..

- لا والله يا " شجاع " ما ندمت على ما فعلت ، وإنما ازددت إعجابا بهذا الصنيع منك .

- ثم قال له !!

- وددت يا شجاع " لو خليت سبيلك ، ولكنى أخشى عليك من " العاضد " ..

- يريد قتلى ؟ ..

- نعم .. قد طلبك منى ليقتلك فسألته أن يهبك لى ، على أن يبقى أسيرى ولا أطلق سراحك إلا إذا أذن .. فقبل بعد لأى .. فظهر الاغتمام فى وجه شجاع ولم يتكلم.

- قال له ضرغام :

- لا تبتئس .. فلن يلقاك هنا عندى إلا كل خير ..) [1]

فصدق البطل ، وصراحته ، حتى مع أعداء أبيه ، الذين يأسرونه ويقيدون حريته جعلهم يحترمونه ، ويحدبون على حياته ، حتى عندما طلبه الخليفة " العاضد " ليقتله ، انتقاما من أبيه " شاور " ،حال " ضرغام " بينه وبين " شجاع " محتالا . على العاضد كى تفوت الفرصة عليه ، ولا ينال منه ، علما بأن فى ذلك خطورة على " ضرغام " قد تكلفه منصبه ، ، بل حياته كلها ولعل هذا ما حدث بعد ذلك .. إلا أنه لم يفرط فيه ، وما هذا إلا لفرط إعجابه به لشجاعته ونبل أخلاقه وصدقه .

---

[1] سيرة شجاع ص ٤٤ .

أما " شجاع " فلم ينس أبدا أن (ضرغاما) على الرغم من عداوته لأبيه إلا أنه رجل يحدب على مصالح الأمة ، ويعرف أين ينبغى أن تتجه قدراتها ؟ وأن الصراع الحقيقى ليس بينه وبين " شاور " أو " أسد الدين " وجيشه الذى جاء به " شاور " كى ينتزع الوزارة من ضرغام ، وإنما الصراع الحقيقى ينبغى أن يتجه إلى "الفرنجة" الذين اغتصبوا أجزاء من أرض الوطن آنذاك .. وهذا ما أكده عندما جاء (أسد الدين) بجيشه لقتال " ضرغام " واستعد الجيشان للمنازلة ، إلا أن ضرغاما يرغب فى التصالح ، والتعاون مع (أسد الدين) لإخراج الفرنجة من بعض البلاد التى وقعت تحت سيطرتهم ، فيرسل (شجاعا) فى هذا الأمر ويعرض شجاع الأمر على (أسد الدين) وأبيه " شاور " إلا أنهما ، وبعد مشاورات كثيرة ، كان من أهمها التعاون معا على طرد المستعمر والتنازل عن الوزارة لشاور ، إلا أنهما رفضا كل ذلك . إلا أن " شجاعا " ظل يحاول مرة ومرات مع " أسد الدين " ومع أبيه " شاور " حقنا للدماء ، واقتناعا منه بصدق ما يقوم به " ضرغام " حتى أن " ضرغاما " عندما عرف بفشل محاولاته هذه فى تحقيق رغبته ومصلحة البلاد ، قال له :

– فاشهد إذن أننى نصحت لدينى ووطنى .. وأبرأت ذمتى إلى الله .. وأن أباك هو المسئول [١] .

وانتهت المعركة بانتصار جيش (أسد الدين وشاور) على " ضرغام " وجيشه من المصريين ، واستتب الأمر لهما . إلا أن " شاور " وهذا طبع فيه عاد إلى مكره ، وخان وعوده ، ومعاهداته مع (أسد الدين) بل تآمر ضده مع الفرنجة واستجار بهم لكى يخلصوه من (أسد الدين) ورجاله ، حتى يستتب الأمر له وحده فى مصر . نعم هذا ما حدث أما " شجاع " فلم يجد مندوحة أمام هذه الترهات والخيانات المتعددة من أبيه " شاور " إلا أنه سلك طريقا آخر ، يحاول أن يحقق فيه ذاته بعيدا عن طموحات أبيه المخجلة ، فما كان منه إلا أن يجاهد الأعداء من الفرنجة فقام إلى تشكيل مجموعة من الفدائيين سماها ب ــ (جماعة الموت) ينقض بها على جيوش الفرنجة ، التى حاصرت جيش " أسد الدين شيركوه " الذى

---

[١] انظر : سيرة شجاع ٥٩ .

أوفده " نور الدين " عندما كانوا يعسكرون فى بلبيس ، وظل يحقق من البطولات ما أوقع فى قلب الفرنجة الهلع والخوف حتى أُسر مرة أخرى ، ولكن بيد الفرنجة هذه المرة ، فيقف البطل أما ملكهم (مُرِّى) منتصب القامة ، مرفوع الهامة يبدى تجلدا .. وشجاعة نادرة ،غير آبه بمليكهم وعساكره ، المدججين من حوله ، ولا يأبه كذلك ، بما يثيره أبوه (شاور) من غضب عليه ، للخروج على أمره ، ففى سبيل الله تهون كل الصعاب ، ويعذب كل ألم ، وتنطفئ كل الغضبات ، ولو كانت من أحب الناس إليه (أبيه شاور) ...

قال له (مُرىّ) وهو يقلب رسائل بين يديه :

- أيها الشاب : ما حملك على ما فعلت وأنت ابن صديقنا "شاور" ؟

- فأجابه شجاع بصوت أعلى مما يلزم ، لإسماع مخاطبه : كلا لم يكن "شاور" صديقا لكم ولن يكون ..

- ويلك أحقا تجهل ذلك ؟

- بل أعلم اليقين أنه ليس كما تظن .. أنتم عدو المصريين جميعا من أصغر صغير فيهم إلى أكبر كبير ... فما بالكم بوزيرهم ؟

- فنظر إليه (مُرىّ) متعجبا ، ثم قال :

- هل تعرف خط أبيك وتوقيعه ؟

- فاضطرب قليلا وارتعش صوته وهو يقول :

- نعم ..

- خذ هذه الرسالة إذن وانظر إليها ..

ونشرت الرسالة أمام شجاع ، فاضطربت عيناه بين سطورها ، ولاح فيهما الذبول والانكسار ، ثم لمعتا لمعانا عجيبا ن كأنهما جمرتان متقدتان .. فحملق بهما إلى وجه الملك وقال :

- أيها الملك إن الحرب خدعة ، وقد خدعك " شاور " بما كتب إليك ليشغلك هنا بحصار هذه المدينة المنيعة ، حتى يستعد لكم ليطويكم طيا ..

- فاطرق الملك لحظة ثم قال له :

- علام إذ جئت أنت وجماعتك لقتالنا قبل أبيك ؟

- غلبنا الشوق إلى قتالكم فلم نستطع أن ننتظر ..

- إن كنت صادقا فيما تزعم ، فلم كشفت لنا خطة أبيك ؟ .. أردت أن تحبطها .. ؟

- نعم : لأنى على يقين أننا منتصرون .. وأنكم مهزومون .. ولو لم يلجأ أبى إلى هذه الخدعة ، فإن كنت شجاعا فتقدم بجيشك نحو العاصمة ..

- لو أردت لفعلت ، ولملكت القاهرة عنوة ..

- هيهات ..!! [1]

فعلى الرغم ، من كون "شجاع " سقط فى أيدى أعدائه ، من عسكر الفرنجة ، وهو البطل الذى نال مع جماعته من رجالهم ما نال ، إلا أن عروبته ، وإسلامه ، يأبيان علية إلا أن يكون شجاعا ، مقداما قويا ، لا يطاطئ هامته ، أو يذل ، ولو كلن فى ذلك موته !! فهو صاحب رسالة وموقف ، والإنسان مواقف ، فعروبته وعقيدته ، حملتاه على الجهر بكره الفرنجة ، وإعلان الحرب عليهم ، ففى ذلك شرفه وعزته ، ودون ذلك العار والمذلة .. فالقتال فى سبيل الله ، وفى سبيل تحرير الوطن ، أمنية المسلم ، وغايته ، التى صنعه الإسلام من أجلهما .. وجعل له قتال الأعداء (الجهاد)

---

[1] سيرة شجاع ص ١٢٤ ، ١٢٦

فريضة ، من فرائضه المهمة ، التى ما إن تهاونا فى إقامتها ، حتـــى أصابنـــا مـــا أصابنا ، على أيدى اللئام من كل صوب وحدب ... من كل عقيدة وجنس !!

- فأثارت مواقفه هذه ، إعجاب الفرنجة ، وأطلقوا سراحه ، وعندما عـــرف (أســد الدين شيركوه) بنبأ جماعة (شجاع) استقبله استقبالا حميما ، وحفيا ، وقـــال لـــه محييا :

- (لله درك يا شجاع لقد بيضت وجوهنا .. [1]

وعندما تتضح له رعونة أبية (شاور) فى تعاونه مع الفرنجة فـــى حـــرب رجال (أسد الدين شيركوه) الذى جاء إلى مصر فى حملة للدفاع عنها ضدهم ويرى من أبيه ، خيانة لهؤلاء المسلمين الذين جاءوا ليدفعوا عن البلاد شرا وبيلا ، رجـــع من وراء جيش أبيه ومكث فى منزله ، وأخذ يعمل عينـــا لجيـــش (أســد الديـــن) وأتباعه من المسلمين ضد مناوئيهم من جند أبيه أو الخلفية العاضد أو الفرنجة ...

- وعندما ارتقى فى نفسه ما كان يظنه رعونة ، وعصبية ..، وقعت من وزيـــر ، كان يظن أنه اجتهد فأخطأ ، إلى ماراه خيانة محققة من أبيه الوزير ، للوطـــن ، والدين ، والعروبة ، بعد أن كان يراه أنموذجا للسياسى المتفـــرد ، ممـــا أجـــج الصراع داخل نفسه ، صراعا يكاد يضرم نفسه ، ويمزقها ، بين الحب والواجـــب ، بين العاطفة والضمير ، بين حبه لأبيه وواجبه نحو وطنـــه ودينـــه ومبادئـــه ومسئوليته .. لاسيما عندما اجتمع (شلور) الأب ووزيـــر الخلفيـــة ، " وابـــن الخياط " الجاسوس اليهودى ، والعاضد الخلفية الغر ، اجتمع ثلاثتهم على خيانـــة أسد الدين ورجال العهد الجديد ، الذى أخذ فى إدارة البلاد ، فها له مـــا رأى .. ويا ليته ما رأى !! حتى لكأنه فقد القدرة على أى شـــىء مـــن فـــرط الدهـــش والمفاجاة ، من هول ما سمع ، (أن يتولى زعيم الخلافة القيام باغتيال " أســـد الدين" إذا ثاروا ، ويبعث " ابن الخياط " إلى ملـــك الفرنـــج يســـتعجله القـــدوم

---

[1] سيرة شجاع ص ١٠٣ ..

للقضاء على فلول جيش " نور الدين " وقطع دابرهم من مصر ، فلا يطمع " نور الدين " فى الاستيلاء عليها بعد ذلك ..

- ويعود " شاور " إلىالحكم ويأمن " العاضد " على عرش أبائه فلما أبدى " شاور " ارتياحه لهذه الخطة ، أخرج له " ابن الخياط " الرسالة التى كتبها فى هذا المعنى ، ليرسلها إلى ملك الفرنج ، وقد وقع عليها زعيم الخلافة بخطه ، فما ينقصها غير إمضاء "شاور " وقد تردد " شاور " برهة ، "وابن الخياط " يحرضه ، ويؤكد له ، ألا خوف من انكشاف سره ، حتى رضخ " شاور " آخر الأمر فوقع .

هذا ما سمعه البطل " شجاع " فها له ما سمع ، من خيانات ، اتفق عليها أرباب الحكم ، الذين يفترض فيهم حراسته ، وصيانته ، والذب عنه ، فأنشب الصراع أنيابه فى نفسه ، فكان يفتك به ، مما جعله يترصد خروج " ابن الخياط " من عند أبيه ، الوزير " شاور " فلما خرج ، أقتفى أثره وانقض عليه فى الظلام ، وطرحه أرضا ، وكم فمه بعمامته ، خشية أن يصيح ، ولكنه تذكر أنه لن يفعل ، فخلى عن فمه ، واستل خنجره ، فشرعه فى وجهه ، وصاح فيه :

- اعطنى الرسالة وإلا ذبحتك ..

- شجاع بن شاور ! .. ويلك ! أن حياة أبيك فى هذه الرسالة ..

- حياة " شاور " فى جنب حياة البلاد ، لا تساوى عندى حياة كلب قذر مثلك .. اعطنى الرسالة ..

- ويلك !! قم عنى لأعطيك إياها .

- كلا ، حتى تعطينيها .. أين وضعتها ؟

- هى فى جيب القميص ..

- أخرجها بيدك ...

- هاهى ذى .. مزقها يا " شجاع " لتحفظ حياة أبيك ..

وتطلع شجاع فى الرسالة حتى استيقن أنها هى ، فهم أن ينهض عنه ، ويخلى سبيله مطئنا إلى انه لن يفش سر أبيه ، لما فى ذلك من خطر على حياته ، هو . أيضا ولكنه تذكر بغتة أنه سيتصل لا محالة بأبيه ويفضى إليه بما حدث ، ونظر فبصر بخنجر يخفيه " ابن الخياط " فى وسطه ، فأستخرجه منه ..

- أجل خذ خنجرى هذا لتطمئن إلى أنى لن أفتات عليك ..

فأغمد شجاع خنجره ، وأعاده فى وسطه ، واستل الخنجر الجديد ، وجعل يقلبه فى كفه ..

- قد أخذت الرسالة فانهض عنى ..

- كلا لن أدعك تكتب أختها أبدا ، يا خائن .. سأقتلك بخنجرك ، كما تموت العقرب بسمها !!

فأخذ ابن الخياط يستعطف ويتوسل :

- أجل إنى لخائن ، ولكن والله لأتوبن على يديك ، ولأكشفن لك أسرارا أخرى تهمك ، فإنى أراك أعظم الناس إخلاصا لبلادك ..

- أتريد أن تخدعنى يا فاجر ؟ !!.

_ خل عنى وإلا صحت فجمعت عليك الناس فعرفوا سر ....

ولم يتم ابن الخياط كلمته هذه ، إذ عادت عمامته ، فسدت فمه ، وانبرى خنجرد يغوص فى صدره ، ويخرج كأنه يفتش عن موضع العلة فى قلبه ليداويها !! [١]

---

[١] سيرة شجاع ص ٢٩٥ ، ٢٩٦

فالبطل " شجاع " يتحسس من أين يأتى الخطر ؟ .. فإنه استراب فى دخول مثل هـذه الشخصية أين الخياط " ذلك الذى ينفث سمومه كالأفعى ، وعندما نمى إلى سمعه مـا تحقق من أنه خيانة ، اجتمع عليها كبـار رجـال الدولـة ، الخليفـة ، ووزيـره ، واليهودى الماكر ، .. وهذه طبيعة اليهود فى كل زمان ومكان فهذه وسائلهم الدنيئـة وطبائعهم المنحطة فى حياكـة المؤامـرات وتسـهيل الخيانـات بيـن الشـعوب ، والجماعات، حتى تنهار مقومات الحياة ، والقـوة فـى الأمـة ، ويسـهل عليـهم الانقضاض عليها والتهامها .. إلا أن شجاعاً تنبه لمثل هذا ،وقطع على " ابن الخياط" سبل مؤامراته ، وحطم تدبيره ، وأنقذ البلاد من فتنه محققه ، توقعها فى التهلكـة ، وتحيى صراعا كان قد مات بين المسلمين والفرنجة ، فى ذلك الوقت ، فما كان مـن " شجاع " إلا أن قضى عليه ، ومنع وصول الرسالة ، التى تحمل هذا الاتفـاق ، إلـى الفرنجة ، وعند هذه ، لم تستطع عاطفته أن تخذله ، كما فعلت به قبـل ذلـك مـع والده، إذا كان يرى الحق فى غير جانبه ، إلا أن عاطفته كانت تحمله على اتباعـه أو لنقل : على عدم عداوته ، فخياناته كانت سافرة .. إلا أن " شجاعا " كان يلتمس لـه الأعذار .. أما فى هذه المرة ، فقد فاض الكيل ، ولن يغفرها لـه ثانيـة ، حتـى إذ زوجه " سمية " – زوج شجاع –عندما سألته عن هذه الرسالة :

– ماذا أنت صانع بها ؟ أتريد أن تمزقها ؟

–كلا ، بل سأحفظها ، وأصونها لأهدد بها الشيخ الضـال ، إذا أراد أن يعـود لمثـل حماقته. [١]

فشجاع الابن البار ، يحرص على أن يمنع أباه الوزير " شاور" من السـقوط أو الانحراف ، وإن لم يستطع أن يواجهه بما يحيك فـى الظـلام ، إلا أن الفرصـة واتته، إذ أمسك بالدليل القاطع على خيانته .. تلك الخيانة التى توجب قطيعته ، بـل فضحه ، وكشف أسراره ، إن لم يرتدع عن ذلك .. حتى أنه يعف فـى حـواره مـع زوجته أن يسميه أباه لكنه فى حقيقته التى تكشفت له : الشيخ الضال ..!!

---

[١] سيرة شجاع ص ٢٩٧ .

من ثم ، نجده يخلو إلى نفسه ، وينظر في أمره وأبيه ، وكيف أنه خدعه كل هذا الدهر ؟ .. وهو الذى كان يكن له كل حب وتقدير – بل كان يغالط نفسه ، ويتغاضى عن مساوئه ، وحماقاته المتعددة ، فى مواقفه المختلف ، من "ضرغام " .. ومن الصلح الذى طالبه به ، حقنا لدماء المسلمين أثناء مجى حمله " نور الدين " بقيادة " أسد الدين " وابن أخيه " صلاح الدين " .. ومن الفرنجة عندما تواطأ معهم ضد جنود المسلمين سواءً المصريين أو من جاء واقع " أسد الدين " هذه المرة .. كل هذه كل هذا ، أخذه إلى تفكير عميق فى هذا الرجل الذى يسمى " شاور " أبوه .. وكيف أنه خدع فيه ؟ فاشتد الصراع داخل نفسه ، يكاد يقتله ، هذا الصراع النفسى (المنولوج) الحاد الذى كاد أن يقضى عليه !!.. هذا الصراع الذى يطرحه هذا الحوار الذى يطول أحيانا إلا أننا لا نجد مندوحة من ذكره ، حتى نقف على هذه الدراما العنيفة ، التى تمكنت من وجدان البطل " شجاع " عندما داهمته مؤامرات أبيه " شاور " وخياناته المتكررة ..

" تتابعت أمام عينيه صور مخيفة ، تتراقص أمامه كالأشباح ، ثم تتلاصق وتتضام ، وتتحد فى صورة واحدة ، يتضاءل حجمها شيئا فشيئا ، فإذا هى وجه أبيه، وترددت فى أذنه أصوات منكرة من زئير ، وفحيح وعواء ، ونهيق ، وقباع ، ونعيق ، تتناوب على سمعه ثم تختلط وتتمازج ، فى صدى واحد ، يتخافت شيئا فشيئا ، فإذا هو صوت أبيه ، ثم انقشع الظلام والضباب ، فاختلفت الأوهام والأشباح، وأخذت تتجلى له الحقائق ، سافرة ، يؤكد بعضها بعضا ، ويجلو بعضها وجه بعض ، فإذا هى خيانات أبيه كبيرها وصغيرها ، وقديمها وحديثها ، تطير عنها هلاهيلها ، فإذا هى عارية لا يسترها شى !!

(لقد كان يحتملها ، ويلتمس له المعاذير ، إذا كان العهد فساداً مستطيراً فى كل شى ، والأمور فيه فوضى مختلطة ، فلا تتميز فيه الخيانة من الأمانة ، ولا يتبين فيه الصلاح من الفساد ، أمام فى هذا العهد الجديد ، فأى شبهة تستطيع أن تستر تلك الخيانات ؟ .. أم أى معذرة تستطيع أن تغفرها ؟ .. كلا ، لا شبهه ولا معذرة ، إنها حقيقة تفقأ العين !! وهذه التى اقترفها اليوم ليست بأبشع من أخوتها اللاتى سبقنها إلا أنه رأها بعينية ، وسمعها بأذنيه) .

(أه ... يا ليته لم يكشفها اليوم ، فبقى له فى الدنيا رجل يستطيع أن يسميه (أباه) بل ليته كشف أخواتها من قبل فاستطاع أن ينقذ نفسه من هم عاش دهرا فيه ...

يا ويلتاه .. هذه خيانة صريحة لمصر ، وللعرب ، والمسلمين ...

ماذا يصنع ؟ أيبلغها لأسد الدين ؟ .. إذن يقبض على أبية ، ويحكم عليه بالموت ، فماذا يكون حاله هو ؟ بل ماذا يكون حال والدته العجوز التى تقدس زوجها تقديسا حين تفجع به ، وتفجع فيه ؟..

ماذا يكون موقفها من ابنها إذا علمت أنه هو الذى وشى بأبيه ، فقدمه إلى سيف الجلاد ، وألبسها الحداد على الحداد ، وضرب عليها وعلى نفسه المذلة والعار؟ أيكون ذلك جزاء حبها له وحنانها عليه ؟. إن هذا إذن لعقوق ، عقوق وأى عقوق !! .. ولكن كيف يتركه هكذا يخون مصر ويخون العرب والمسلمين دون أن يبلغ عنه ؟ أذن ليكون مسئولا أمام الله ، وأمام العرب والمسلمين ، ولتحلن عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين ...

آه .. ليت أباه قد مات من قبل فاستطاع أن يزور قبره ويترحم عليه ...

وليت أمه قد توفيت ، فضمن أنه قام بواجبه !! ، فآثر حرمة الله والوطن على حرمة أبيه ..[1]

ويوغل الصراع فى نفس " شجاع " يعصف بها كفنن رقيق ، ينتصب أمام ريح عاتية ، فتتقاذفه العواصف فى الجهات المختلفة ، فتكاد تقتلعه من جذوره ، لولا أن هذا الأصل ، ثابت فى قرار الأرض ، وهامته سامقة تطل نحو السماء ، لكن العراك النفسى ، (الصراع) قائم وشرس ، معركة بينه وبين نفسه ، وإذا هو ذاك ، إذ (يتراءى له فجأة شبح ضرغام واقفا أمامه برأس مقطوع ، يحوم فى الفضاء ، حول عنقه ، ثم تستقر على العنق فإذا هو يقول : ويحك يا "شجاع" ، عرفت اليوم

---

[1] سيره شجاع ص ٢٨٣ وما بعدها مواضع متفرقة .

حقيقة أبيك ؟ وقبل أن يتمكن " شجاع " من جوابه ، اضمحل الشبح ، واختفى فى طرفة عين ...)

" مسكين ضرغام .. لقد سبق زمانه فقتل ، ولو عاش حتى اليوم لانسجم مع هذا العهد الجديد ، آه .. كيف فضلت أبى عليه ؟ .. لقد كان حقا وفيا لدينه ووطنه ، دون أن يبالى ما يقول الناس عنه ، فظنوه خائنا ، وهو أمين .. فأين منه أبى الذى يزعم أنه أمين وهو خائن ؟ ..)

(يا ليتنى كنت ابنه لا ابن شاور ، ويا ليتنى لقيت مصرعى فى الجسر الأعظم معه فقال الناس يومئذ ، الحمد لله الذى أراحنا من ضرغام وابن ضرغام ، فذلك خير عندى من أن أكون ابن هذا الخائن ..

(رباه .. لم جعلتنى ابن شاور ؟ ..)

(هلا جعلتنى ابن ذلك السقاء الصالح نعمان بن عبيده ؟ أو ابن ذلك الفلاح الأمين الذى يعمل فى ضيعتنا بقليوب ؟ أو ابن أى رجل فى الأرض غير شاور ؟ إذن ، لاسترحت من هذا العذاب الأليم .. عذاب الحيرة والهوان ..)

(استغفرك اللهم .. لا اعتراض على قضائك يا رباه ، ولكن إذا قضيت على بما قضيت فأنر لى السبيل وألهمنى خير ما أعمل ..) [1]

فـ(شجاع) البطل ، وسط هذا التمزق ، لا ينسى شهادة حق كانت تراود نفسه كثيرا – فالوزير (ضرغام) ، غريم والده (شاور) – إلا أن بنوته للخائن (شاور) لم تنسه ، أو تغمط حق الشهادة للأمين الوطنى ولو كان عدوا لأبيه !! فالمبدأ الإسلامى هو الإعلان عن الحق مهما تعارض مع عواطف الآخرين ، كما أن القرآن نفسه فى مثل هذا الأمر يقدم مصلحة الدين والوطن ، على عواطف الآباء والأبناء . لا سيما ، إذا تعارضا معا .. علما بأن الابن قد تغاضى كثيرا عن أبيه، مخازيه ومؤامراته وخياناته ، خشية أن يتهم بعقوقه له ، ولكن عندما وصل الأمر

---

[1] سيرة شجاع ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

إلى هذا الحد ، وانجلت الحقائق ، ولم يقو على تبريرها له ، أصبح لزاما عليه مواجتهه .. ورده عن غيه ، السادر فيه ، ولم يقو على الانفلات منه أبدا ، فهو أسير شهواته وطموحاته فى الحكم ، ويرتكب فى سبيل ذلك ، النقائص والدنايا ، ولا يبالى!!

عندها وقف شجاع ليؤدى مسئوليته تجاه وطنه ، وأمته وضميره الإنسانى .. فالقرآن الكريم الذى رسم منهج الحياة للعلاقات الإنسانية بين الآباء والأبناء يقول فى محكم التنزيل فى سورة التوبة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم منكم ، فأولئك هم الظالمون).[١]

وما فعله الأب "شاور " يتنافى تماما مع أمانة الحكم التى وليها وعندما عرف واتضح أمام ابنه كل ما كان يرتكبه فى حق الوطن والمسلمين من خيانات ومؤامرات ، كره الابن منه كل هذا ، حتى أن ينسب إلى هذا الخائن الذى أراد القدر له أن يكون أباه !!

لكن الإسلام بمفهومه الحضارى لهذه العواطف والقيم ، يؤكد بأنه ، (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) ، حتى ولو كان العاصى هو الأب الذى قرن القرآن بره بتوحيده وعبادته (عز وجل) فى قوله : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا .[٢]

وما قصة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) فى محاولاته الدائبة مع والده ، عساه أن يهتدى ، إلى صراط الله السوى ، (منهجه القويم وتوحيده بالعبادة) إلا أن أباه يصر على عناده ، وكفره ، مما يجعل إبراهيم يهجر حياته وديانته ، ويخرج عن طاعته ..

---

[١] سورة التوبة آية (٢٣)

[٢] سورة الإسراء آية (٢٣)

سورة مريم الآيات (٤١ : ٤٨)

قال تعالى : (واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا إذا قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا يا أبت إنى قد جاءنى من العلم مالم يأتيك فاتبعنى أهدك صراطاً سويا يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أرغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا.

فعندما تتعارض قرابة الدين ، مع قرابة النسب ، تنهار قرابة النسب ، أمام قرابة الدين ، فهى الأبقى للإنسان فى حياته ، ومماته .. فطاعة الوالدين مرهونة بعدم الشرك ..

ويقول تعالى : وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما " [1] فخيانة الوطن تتنافى مع العقيدة الخالصة ، والإيمان الحقيقى بالله -عز وجل- من ثم ، تنقطع كل صلات النسب عندما تهتز هذه القيم الإنسانية الرفيعة .

فعندما تضطرب هذه العلاقة وتتدنى إلى هذا المستوى الدنيئ ، تتحطم العواطف ، وتنهار القيم ، التى تحدد هذه العلاقة الإلهية ، بين الابن وأبيه فحب الله ، وحب رسوله ، والجهاد فى حياة البشر ، واستقرار أمورهم ، وحياة مجتمعاتهم ، وكل هذا يستدعى أن تتعلق العاطفة الإيمانية ، بكل ما يوصل هذه الواجبات ، وهذا ما يؤكد عليه القرآن الكريم ، الذى يعد المنهل الأول للإبداع الأدبى ، الذى يضبط الرؤية الإسلامية ، للعواطف الإنسانية ، فى مثل هذه الظروف ..

قال تعالى : قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين " .[2]

---

[1] سورة لقمان آية (١٥)

[2] سورة التوبة آية (٢٤)

فالابن (شجاع) لم يصنع نحو أبيه إلا ما أملاه عليه دينه وضميره الحى ، المرتبط بالله ورسوله .. وإن كان مال إليه ،ونزل على رأيه ، وتبعه فى أمور كثيرة ، كان يترجح لديه خطؤه فيها، عساه يتعقل الأمور ، ويتروى ويزن الأحداث بميزان الإنصاف ، ولا تأخذه العزة بالإثم ، ويثوب إلى رشده .. إلا أنه كان كثيرا ما يتقاعس ويتخاذل يتمادى فى غيه ، ويسئ إلى نفسه ، ودينه ، ووطنه ، وإلى ابنه ، الذى كان أطاعه كثيرا فى غير ما تجب الطاعة ..ووسط هذه الأمواج المتلاطمة من الحيرة والألم التى تكاد تفتك به يهجع إلى ظلال الإيمان الوارفة ، لتقيله من هذا اللظى .. فيستغفر الله ، ويدعوه أن يعفو عنه ، فهو راض بقضائه ، ولا اعتراض له على ما شاء ، ولكن يرجو الاستنارة ، وأن يلهمه الصواب ، فيما يقرر فى شأن والده ، الذى خان الله والوطن وخان أمانات الأمة ، الذين ناصروه ، حتى يتبوأ هذه المكان ، ويجلس فى سدة الحكم والوزارة .. والإسلام ينهى عن هذا السلوك الفاجر: يقول تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) [١] ويقول تعالى " ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما .[٢]

هذا الرجل يخون الدين والوطن فكيف اسكت عليه ،ولكنه والدى ،فكيف أقوده إلى القتل وأفجع والدتى به .[٣]

فى هذه اللحظة ، ألهمه الله بعمل يحاول أن يخبر به " أسد الدين " وابن أخيه " صلاح الدين الأيوبى " بما يدور حولهم ، من خيانات فى أطراف مختلفة ، دون أن يخبرهم بمن يقوم بهذه الخيانات ، عن طريق ما أسماه بـ(العصفورة) زوجته (سمية بنت أبى الفضل الحريرى) فأخذا معا يراقبان " شاور ".. من يزوره ؟ ويرصدان تحركاته داخل القصر وخارجه حتى أنه لم يكد يغيب عن أعينهما ، ويرصدان تحركاته داخل القصر وخارجه حتى أنه لم يكد يغيب عن أعينهما ، أو لنقل

---

[١] سورة الأنفال آية (٢٧)

[٢] سورى النساء آية ٢٧

[٣] سيرة شجاع ص

لم تغب خياناته عنهما ، لحظة حتى حانت ساعة المواجهة بين شجاع البطل وشـــاور الخائن عندما أعد " شاور " وليمة فاخرة " لأسد الدين " ورجاله بقصره .هـــش لـــها شجاع كثيرا ليقينه أنها نقطة البدء فى انفراج أزمة أبيه ، مع رجال العهد الجديـــد .. والحقيقة ، كان الأمر خيانة أخيرة من " شاور " لابنـــه ، ورجـــال العـــهد الجديـــد . فكشفت لشجاع قبيل قدوم " أسد الدين " والرجال ، فسنحت الفرصة أمام " شـــجاع " لمواجهة والده ، الذى كان يتحاشاه ويراوغ نفسه قبل ذلك !!

قالت سمية :

أليس خيرا من هذا أن تكتفى بإنذار "أسد الدين" ؟

- كلا يا سمية ، لابد أن أنذره هو أو لا وأهدده ...

- هل لى أن أكلمك يا سيدى على حده ؟ ..

- فنظر "شاور" إليه فى ارتياب ، ثم نظر إلى "يا قوت" نظرة ذات معنى ..

- دعنى الآن يا يا قوت ولا تذهب بعيدا فسأحتاج إليك وإلى الآخرين ..

- أوصد الباب خلفك ..

- هات الآن ما عندك يا بنى .. خير إن شاء الله ..

- أى خير ، وأنت تدبر هذه الغدرة التى يســـتنكف مـــن ارتكابـــها حتـــى قطـــاع الطرق؟..

- فصعق "شاور" من هول ما سمع ..

- ويلك ، ماذا تقول ؟ ..

- لا تحاول الإنكار فقد علمت كل شىء ..

- ماذا علمت ؟ ..

- أنك تدبر مكيدة " لأسد الدين " ورجاله .. فما أقمت هذه الوليمة إلا لتغتالهم وهم على مائدتك ؟

- ويلك .. من لفق لك هذه الفرية المضحكة ؟ ! ..

- لفقها لى ياقوت ..

- يا قوت ؟

- أجل ، ما يعلم بهذا السر غير " ياقوت ".. هذا العبد الخبيث الذى اصطفيته وقربته واتخذته نجيك دون أهلك وولدك ..

- كذبت يا وغد ، بل كنت تتجسس على .. تتجسس على أبيك ؟ !

- أجب إن من نكد الدنيا على أن يكون أبر عمل أقوم به لدينى ووطنى هو التجسس عليك لأحول بينك وبين جرائرك وفواقرك ..

- فاستشاط شاور غيظا ومديد فلطمه لطمة عنيفة

- أى جرائر يا وغد وأى فواقر ؟ ! [1]

- وعلى هذا المنوال سار الحوار حتى أيقن "شاور" بمعرفة "شجاع" بكل شىء وعرف أنه بات عاريا ومفضوحا لقد سقطت ورقة التوت التى كانت تستره عن عيون الآخرين !! لا سيما ، ابنه فما كان منه إلا أن أمر خدمه بالقبض على ابنه، وبعد لحظات مرت كأنها دهر ، ثم انبرى "شاور" فأمر عبده المخلص ياقوت : أن أجهز عليه .

---

(١) سيرة شجاع صـ ٣٢٦

- فطعنه ياقوت طعنة قاتلة .. إلا أنه وهو يجالد الروح عند خروجها يأمر زوجته بدفن عن أسرار والده فيطلب إليها تمزيق الرسالة ، التى تدين "شاور" ويطمئن على " أسد الدين " ويسأله معروفا يسديه إليه انهم إذا قبضوا على والده ألا يقتلوه حتى يستتيبوه عسى أن يتوب الله عليه خوفا من ألا يراه فى الدار الآخرة..

- فشجاع بطل حتى النهاية ، حتى وهو يودع هذه الحياة ، لم يسع فى الانتقام من قاتليه بل يأمرهم أن يرفقوا به ويمهلوه حتى يتوب عسى أن يلتقى به فى الجنة.. وفى الوقت نفسه لم يتستر عليه وكان بإمكانه ذلك إلا أن تربيته الإسلامية أبت عليه إلا أن يفضحه أمام أسد الدين فلم يواده فى ذلك أو يغلب عاطفته نحو أبيه فالله ورسوله والوطن أحب إليه من أبيه الخائن : قال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون). [١]

فنهاية البطل ، كانت على يد أبيه الخائن أو بإيعاز منه ، هذا ما سجلته الرواية ، وإن كانت روايات المؤرخين اختلفت عن ما جاء فى هذا العمل الأدبى : فذكر " ابن تغرى بردى " صاحب كتاب " النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة [٢] ولما تكاثر الرسل من العاضد دخل جرديك إلى الخيمة وجذر رأسه أى شاور وبعث أسد الدين برأسه إلى العاضد فسر به ثم طلب العاضد ولد شاور الملك الكامل شجاع وقتله فى الدهليز وقتل أخاه وهذا الخبر يؤكد قتل شجاع الملقب بالكامل على يد الخليفة العاضد بعد قتل أبيه شاور .

---

[١] سورة المجادلة آية / ٢٢ .

[٢] راجع ٥ / ٣٥٢ .

أما ابن خلكان قد ذكر فى كتابه " وفيات الأعيان " [١] أن الكامل ابن شـــاور لما قتل أبوه دخل إلى القصر هو واخوته معتصمين به فكان آخر العهد بـــهم فكـــان شيركوه يتأسف كيف عدم لأنه بلغه ما كان منه مع أبيه فى منعه من قتل "شـــيركوه" وكان يقول : وددت لو بقى لأحسن إليه جزاء الصنيعة " .

وأيما كانت وفاته قبل أبيه ، أو بعده ، أو بيد "العاضد" أو غيره ، فإن الأمـــر لا يهمنا كثيرا ،، فالروائى له أن يختار النهاية التى تتناسب مع رؤيته التى ارتاهـــا فى صياغته للأحداث ، فهو لا يعرض تاريخا ، وإنما يبدع أدبا ، يســـتلهم التـــاريخ ، ولا يلتزم بحتمياته لأن توظيف التاريخ لا يعنى التقيد بنهاياته ، والإخرج عمله مـــن ميدان الأدب والإبداع ، إلى علم التاريخ ، وهنا يصبح ضئيلا أمام أسفار التاريخ التـــى رصدت هذه الأحداث وتابعت حدوثها ..

لكن الأديب يختار ما يتناسب مع رؤيته فى عرض الأحداث ، أو الهدف مـــن وراء استلهام هذه الشخصيات فى الأعمال الإبداعية ، فالروائى من خـــــلال رصدنـــا لحركته عبر عالم الرواية يضع البطل " شجاعا " فى مواجهة أبيـــه "شـــاور" لـــنرى انعكاس الفعل والفعل الآخر بين الشخصيتين فالصراع يقتضى ان يموت البطـــل بيـــد أبيه فهذه الحتمية التى اختارها الكاتب كانت نتيجة مؤكدة للصـــــراع المتـــأجج بيـــن الطرفين شاور الوزير الخائن وابنه شجاع البطل المسلم الذى يشعر بالمسئولية تجـــاه وطنه ودينه ومجتمعه فهذا الاختيار كان حتميا لإقناعنا بما يدور فـــــى هـــذا العـــالم الإبداعى الذى حاول الكاتب بناءه بطريقته الخاصة ، وكذلك وظف شخصياته برؤيـــة خاصة تختلف عن التاريخ وإن كانت تضرب فى أعماقه وتدين بوجودها له .

فهذه الشخصية شخصية تنطلق فى سلوكياتها من منظور التصور الإســـلامى البسيط فدوافعه وسلوكياته تنطلق من هذه الرؤية الإلهية الصادقـــة فـــهو شـــخصية ملتقى لكل القيم والمبادئ الإسلامية الرفيعة بحيث تبرز قدوة ، وأنموذجا يتميز كمـــا يقول الدكتور / نجيب الكيلانى .[٢]

---

[١] راجع ٢ / ٤٤٨ .

[٢] راجع : رحلتى مع الدب الإسلامى ص الرسالة - أولى بيروت .

لا برد فعل معين تجاه الأحداث وتخطىء وتصيب كطبيعة البشر لكن عطاءها النهائى ، أو محصلة سلوكها توحى بالأمل وتترك التأثير المقنع وفق قناعات فكرية وفنية مقبولة لدى المتلقى ، فهى شخصية ترمز إلى قيم الحق والخير والفضيلة وتصارع نزواتها وضعفها وهواها بالطريقة الطبيعية ، وعلى ضوء التربية الإسلامية أو التجربة الحضارية للمجتمع المسلم الصحيح بحيث تصبح هذه الشخصية الإسلامية قادرة على أداء الدور المنوط بها فى الحياة .

فالإنسان فى الأدب الإسلامى هو ذلك النموذج الطبيعى الذى صوره القرآن الكريم فى آيات كثيرة ومتفرقة وزخرت به كتب السيرة وتناولته أحاديث الرسول (ﷺ) وغصت به كتب التاريخ . ذلك الإنسان الذى يتداول بين الضعف والقوة ولحظات السمو والسقوط ويتماوج بين أسباب السعادة والشقاء فالإنسان المسلم ليس ملاكا نزعت عنه الغرائز والرغبات ولكنه كائن حى يخطىء ويصيب ويبتسم وبحزن ويتقدم ويحجم لكن الأهم من ذلك كله مسيرة من الضعف إلى القوة ومن الخطأ إلى الصواب ومن الجمود إلى الحركة ومن السلبية إلى الإيجابية ومن دائرة الأنانية الضيقة إلى الآفاق الرحبة من التضحية والإيثار والحب الكبير والتسابق إلى رضى الله وإقرار الفضيلة والصدق والأمانة كمثل يحتذى ..)

وهذا ما لمسناه فى رحلة البطل " شجاع " وحركته داخل إطار – العمل الأدبى (الفضاء الروائى) فإن عاطفته كادت أن تتغلب عليه فينحاز لأبيه ولكن سرعان ما كان ينهض ويسعى إلى الآفاق الرحبة ، الحب الكبير الذى غمر الإنسانية بعيدا عن الغضب ، والتعصب الأعمى ، أو الحقد المدمر لعلمه بأن الذين يحادون الله ورسوله فلن يجنوا إلا الذل والمهانة قال تعالى : إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله لقوى عزيز .[1]

---

[1] سورة المجادلة آية ٢٠ ، ٢١ .

فالقصة بدورها ، دعوة للإنسان ، لكي يفتح عقله وقلبه وعينيه وحواسه على العالم من حوله ؛ ليتمعن في سنن الكون ، وعبر الأحداث والأزمات ، ويبدأ في رحلته الممتدة في التفكير والبحث ، والتعمق ، فتنصهر كل هذه المفردات في ذات المبدع ، وتخرج بعد معاناته في صورة تجربة بديعة ومدهشة . (٩٢)

تلك كانت أهم ملامح البطولة في القصة الإسلامية ، الـ تي ء ـني أدباؤنـ ا الإسلاميون بإبرازها ، وهذه هي حركتها الطبعية ، التي يضبطها التصور الإسـ ـلامي. فالإبداع الروائي وبدورنا نحن النقاد مدعوون إلى إماطة اللثام وتقـ ـديمها إلى المتلقـ ـي لتكون منبعا ثرا للمتعة النظيفة ؛ وتربة صالحة لتربية الذوق الفني ، وتقـ ـديم الغـ ـذاء الروحي ، فتصل رسالة الأديب في وضوح ويسر ، خلال هذه القناة الصحيحة ، قناة الإبداع الحقيقي والنقد البناء ، لإبراز هذه النماذج الصالحة ، في تشكيل حركة المجتمع . سيما ، إذا عرفنا أن إبراز هذه النماذج خاصة التاريخية ، يحقق وقاية الإنسان العربي من الذوبان ، والتشتت ، في معترك الغزو الثقافي والحضاري ، ويحقق له نهضة فكريـ ـة وأدبية واعدة ، فالأصيل في الفن كما يقول الروائي العالمي " نجيب محفوظ" : هو الخير الإنساني .. يجب أن نتفاءل فليس أمامنا سوى هذا " ... وقضية الفن الإسلامي كما يقول الدكتور / شاكر مصطفى هي : : أن يخلق التعبير الجمالي عـ ـن روح الإسـ ـلام نفسه ، وأن يمنح النفس السمو الذي يقربها إلى الله دون أن يبعدها عن الأرض ، وإن أي الفن الإسلام يؤكد وجود جمالية أخرى ، وراء العالم المادي الملمـ ـوس ، ليـ ـست مسجونة في حدود الواقع وتقليد الطبيعة "(٩٣).

---

(92) حول القصة الإسلامية ص ١٤ نجيب الكيلاني . مؤسسة الرسالة أولى ١٩٩٢ بيروت.

(93) تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية ص ١٤٧ نجيب الكيلاني . دار بن حزم . أولى . ١٩٩١ . بيروت .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نعم ، إنه الأدب الإسلامي بطاقاته ومعطياته الحضارية والإنسانية التي يستطيع أن يخلق من خلالها التوازن الرائع ، بين الإنسان وعواطفه ، وبين الإنسان والطبيعة ؛ ومفرداتها الجمالية المتنوعة ؛ بين الإنسان والكون بكل مفرداته ، بين الإنسان والله خالقه ، الذي صنعه على عينه ، ويوجه حركته في هذه الحياة .

فالقصة الإسلامية ، هي التي تهدف إلى إبراز الشخصية الإسلامية ، والوجه الحضاري للإسلام ، وتهدف إلى تنقية المفاهيم الإسلامية مما شابها من غزو أجنبي ، عمل على طمسها أو تغيير ملامحها ، أو اضطراب مفاهيمها وإذابتها في طوفان من التصورات والمشاعر الأفكار ، التي تتنافى مع قيم العقيدة الصحيحة ، وهنا تستطيع هذه الشخصية أن تؤدي دورها الحضاري بنجاح ووعي ، وسط هذا الخضم الهائل من الأنماط المتباينة ، حتى يحدث ما يسمى بـ " التمييز " لهذه الشخصية التي تنتمي إلى الإسلام ؛هذا الدين الذي استطاع خلق أجيال متعاقبة من قادة الفكر والسياسة ، والعلم والإبداع ، خلق أجيال في كل مجالات الحياة ، تشهد بعظمته وبقائه وصيرورته في الحياة ..

وعلينا نحن الأدباء والنقاد مهمة إبراز هذا التوازن الجمالي الرائع ، في ذات الإنسان نفسه ، والإنسان والكائنات الأخرى في الكون ، الذي يشهد كل هذه التشابكات المعقدة بين مفرداته ، وعلاقاتها بعضها ببعض ، أو علاقتها بالبشر الذين سخر الله لهم هذا الكون حتى يتهيأ له أن يتسنم كل هذه المخلوقات ، ويتهيأ كذلك لمهمته التي خُلِقَ من أجلها في الحياة .

تلك هي أهم وظائف الإبداع الأدبي ، وكذا مهمة النقد البناء في وجهة النظر الإسلامية للإبداع الفني .

****

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في هذه الدراسة النقدية ، الراصدة لحركة البطل ، في الرواية الإسلامية ، وبحث الكيفية التي تنطلق منها طاقات المبدع ، نحو تشكيل هذا النمط الإنساني في الإبداع الأدبي ، الذي تتلاقى خلاله كل طاقات التشكيل الحضاري لهوية الأمة الإسلامية ... فينتج هذا الأنموذج الروائي ؛ القادر على استكناه كل المعطيات الإبداعية ، والمقومات الحضارية ، لبناء الإنسان المسلم ، أو تشكيل البطل القادر على منحنا ، هذا الأنموذج الذي باستطاعته أن يقدم لنا صورة قريبة منها ، وحميمة إلى نفوسنا ، وكأننا نرى أنفسنا في هذه المرآة المصقولة التي أبدعها الأديب الحقيقي .. الأديب الذي يحمل هذه الأفكار ويؤمن بها ، ويحاول أن يضعنا على محفة المسئولية معه ، تجاه هذا الواقع المعاش ... ؛ الواقع الإسلامي الذي نفتقد في سماته القدوة والأنموذج الحقيقي .

من ثم ، حاول المبدع أن يبحث ، ونحن معه ، عن هذا الأنموذج والقـدوة في تاريخنا العريق ، والزاخر بهذه العطاءات الإنسانية والحضارية التي ملأت آفاق العـالم يوما ما .. فلا أجمل من أن نعود إلى هذه القيم ، وهذه العطاءات الحضارية المشرقة ، وهذه النماذج الظافرة في واقعنا التاريخي البعيد.

هذه الدراسة (حركة البطل في الرواية الإسلامية .. سيرة شجاع أنموذجًـا) ... للأديب الإسلامي علي أحمد باكثير) تصنع ما يمكن تسميته بـ .(المعادل التـاريخي للواقع) فقدمنا الرؤية الفنية " للبطل " لدى النقاد ، وعرفنا برؤية المبدعين للبطل في العمل الإبداعي .

لدى من تحكمهم رؤى أو " أيديولوجيات " تتصادم مع العقيدة الإسلامية ثم حاولنا تفكيك هذا المصطلح ، ومعالجته بالطريقة التي تتلاءم مع الواقع الفكري للبطل المسلم ، ومدى انضباطه مع حركة الحياة ، وحركة العقيدة التي نظمت هذا التواجـد الإنساني في المجتمع .. فالمنهج الإسلامي المنبثق القرآن الكـريم والأحاديـث النبويـة الشريفة بوصفهما من أهم مقومات هذا المنهج قَدَّم تصورًا كاملاً للإنسان المثالي الذي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تتعانق في ذاته ، السماء مع الأرض ، ... ليصنعا منه انموذج لا هو بال سماوي الروحي المطلق ، ولا هو بالأرضي/ الطيني المطلق) .

فالإنسان المسلم هو الذي تتحاور في ذاته كل المتقابلات ، وتنصهر في بوتق ة الضمير الحي ، ولا يفرز في المحصلة النهائية ، إلا السلوك الحضاري الراقي الذي يتلاءم مع المنهج العقيدي الإسلامي لسياسة الكون وعلاقاته المختلفة .

فالدراسة ، عبر فصولها الثلاثة ، عرضت لهذه المفاهيم ، والرؤى الابداعي ة ، والنقدية ، والإنسانية ، في حركة الصراع داخل هذا الإطار الفني (الفضاء الروائي) حيث عرض في الفصل الأول : لمفهوم البطولة في الرواية عامة ، والبطولة في الروايـ ة الإسلامية خاصة ، ومكانة البطل في العمل الروائي .

والفصل الثاني : عُني بدراسة علاقة الأدب بوصفه فنا ابـ داعيًا ، والتـ اريخ بوصفه علما أكاديميا ، والذي تُفرخه هذه العلاقة ، وذلك ؛ لأن العمل الذي تعنى به الدراسة يصنف ضمن ما يمكن تسميته بـ . (رواية الواقعية التاريخية) وذلـ ك ؛ لأن التاريخ ، يعد من أخصب المصادر الإبداعية في عالم الإبداعي القصصي .. لما يتيحـ ه للمبدعين من طاقات في القالب الذي يمكنه من إبراز طاقاته الإبداعية .

والفصل الثالث : حاولنا من خلال دراسة نقدية تحليلية أن نرصـ د حركـ ة البطل " شجاع " وعلاقاته بشخوص الرواية الآخرين ، ورصد حركة الصراع خلال الأحداث المتشابكة مع شخصيته ، حتى اتضحت معالمها الإسلامية التي استنبطناها من خلال الحركة ، والفعل والموقف والحدث ، حتى أمكننا الحكم عليها ، أو لها ، في كل خطوة تخطوها ، داخل ردهات هذا الفضاء الإبداعي لعالم الرواية ..

من ثم ، توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها :

أولاً : أن التاريخ الإسلامي يعد مادة خصبة وثرية بالأحداث والنمـ اذج الإنـ سانية الفاعلة في البناء الحضاري للأمة . من ثم ، باستطاعة الأدباء إذا ما توافرت لهم المواهب الخصبة والاستعدادات النفسية والإرادات الفكرية أن يضعوا في الأدب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما يمكن تسميته " صورة " في الإبداع الروائي الذي يستمد مادته وموضوعه من تراثنا الفكري والتاريخي والاجتماعي بهويتنا العربية الإسلامية.

ثانيًا : أن الرواية هي الفن القادر اليوم ، والمقبول لدى المتلقين ، لما له من خاصيات فنية قادرة ، على السيطرة على عقول شبابنا ، ومحفزة له على أن يتبوأ المكانة اللائقة ، والمتقدمة بين الفنون ، لتنشيط ذاكرة الأمة ، وإنعاش مقوماتها الحضارية والإنسانية ، في شتى الميادين .. لذا يتوجب علينا . مبدعين ونقاد . أن نتخذ من هذه الطاقات مجالا خصبا للدعوة ، للقيم الإنسانية ، والحضارية الفاعلة ، التي ينهض عليها بناء المجتمع الإنساني الإسلامي الفاعل.

ثالثًا : أن الأدب الإسلامي بعامة ، والإبداع الروائي منه خاصة ، لا يهمل العواطف الإنسانية أو يكبتها . كما يظن البعض . بل إن الأدب الإسلامي يعني بهذا الجانب الإنساني من الإنسان ، ويفسح له مكانا لائقا في إبداعاته ، كما أفسح له الإسلام ذاته ، مكانا لائقا في تشريعاته ، لكنه يعرضها في إطارها الحقيقي دون زيف أو إغراء ، فيذكي ما كان منها إيجابيا ، ويهذب ما كان منها غير ذلك ، فيعرض لها في العمل الأدبي ، دون تزايد أو مراوغة ؟ فالجنس مثلا ، والميول العاطفية نحو المرأة ، وكذلك الميل العاطفي نحو الآباء من الأبناء ، ونحو الأبناء من الآباء ، وغيره .. كل هذه الميول يعترف بها في ذات الإنسان . من ثم ، يعترف بها الأدب الإسلامي .. فشخوصه بشر ، واقعيين ، يعيشون الحياة بكل ما يجري فيها ، فهم ليسوا بمعزل عن المجتمع الذي يتجاور فيه الخير مع الشر ، والبشر صالحين وفاسدين .. من ثم ، يأخذ نماذجه من هذه الحياة التي تتلاقى فيها كل هذه العواطف المتعاكسة ، والبشر المختلفين.

رابعًا : أن الرواية هي الفن الإبداعي الأدبي ، القادر ، على عرض القضايا الكبيرة في المجتمع ، على القاعدة العريضة من شرائح المجتمع المختلفة ... بوصفها الفن الأكثر انتشارا في المجتمع ، ولديها . كما قلنا . مقومات فنية وإبداعية قادرة على السيطرة والتأثير في المتلقين ... من ثم ، باستطاعتها أن تحمل . إن جاز

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التعبير . نبوءات المبدعين ، واستشرافهم للمستقبل ، وما يدور في دهاليزه من مشكلات ، وما يستجد على ساحته من قضايا .

تلك كانت أهم النتائج ، التي توصلت إليها الدراسة خلال هذا العرض النقدي ، وخلال هذه الرحلة المضنية ، مع البحث والنقد والتحليل خلال هذا الأسلوب الأدبي الإبداعي الرائع ، الذي تمخضت عنه موهبة المبدع الإسلامي الكبير ، " علي أحمد باكثير " من إحدى روائعه الأدبية إذ استطاع من خلال توظيف طاقات اللغة بمقوماتها المختلفة ، وتقنياتها الإبداعية المتعددة أن يحقق لنا لقاءاً فنيًا مثمرًا وممتعا في الوقت نفسه .. ما يحفزنا على القول بأن " باكثير " أديب العربية ، وحامي حمى القيم الإنسانية في الإبداع ، ومحيي المبادئ الحضارية للمجتمع المسلم ، في إبداعه الأدبي ، في العصر الحديث .

وهذا ما أتمنى أن أكون قد وفقت في تقديمه للقارئ الكريم ، عسى أن يتحفز لمطالعة هذا التراث التاريخي ، وكذا الأعمال الإبداعية المتعددة في هذا الإطار ، كي نستعيد ذاكرتنا المنهوبة ، ونشحذ طاقاتنا المعطلة في شتى مجالات البحث والإبداع .

والله أسأل ، أن يلهمنا الصواب ، وأن يجنبنا الزلل .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر : -

القرآن الكريم (جل من أنزله) .

سيرة شجاع ..رواية أدبية للأديب : " علي أحمد باكثير " .

ثانياً : المراجع :

أ - المعجمات اللغوية والأدبية :

١ . لسان العرب . جمال الدين بن منظور . دار المعارف . د ت . القاهرة .

٢ . المعجم الإدبي . جبور عبد النور . دار العلم للملايين . أولى . ١٩٨٤ . بيروت .

٣ . معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب . مجدي وهبة . وكامل المهندس . مكتبة لبنان . ثانية ١٩٨٤م بيروت .

ب - كتب التاريخ والفكر التاريخي :

١ . سير أعلام النبلاء : للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت : شعيب الأرناؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي . مؤسسة الرسالة . ثانية . ١٩٩٢م . بيروت .

٢ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . جمال الدين أبي المحاسن بن تغري بردي الأتابكي . نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب . وزارة الثقافة والإرشاد القومي . د ت . القاهرة .

٣ . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . لأبي بكر بن خلكان . ت : د / إحسان عباس . دار الثقافة . د ت : بيروت .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤ . مقدمة كتاب الأمة : قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي للأستاذ عمر عبيد حسنه . عدد (٣٩) الصادر عن رئاسة المحاكم الشرعية والأوقاف . قطر .

ج - الدراسات الأدبية والنقد الأدبي :

١ . اتجاهات الرواية المصرية د / شفيع السيد . مكتبة الشباب . ١٩٨٧م . مصر .

٢ . الإسلام وحركة الحياة . د / نجيب الكيلاني . مؤسسة الرسالة . أولى . ١٩٩٠م.

٣ . الإسلامية والمذاهب الأدبية . د / نجيب الكيلاني . مؤسسة الرسالة أولى . ١٩٨٥م . بيروت .

٤ . آفاق الأدب الإسلامي د / نجيب الكيلاني ، مؤسسة الرسالة . أولى ١٩٨٥م . بيروت .

٥ . بين الأدب والتاريخ . د / قاسم عبده قاسم . كتاب الفكر (٧) دار الفكر للدراسات والنشر . أولى . ١٩٨٦م . القاهرة .

٦ . تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية . د / نجيب الكيلاني . دار ابن حزم . أولى . ١٩٩١م . بيروت .

٧ . خصائص القصة الإسلامية . د / مأمون فريز جرار . أولى ١٩٨٨م بيروت .

٨ . الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث . د / عماد الدين خليل . مؤسسة الرسالة ١٩٧٧م . بيروت .

٩ . الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي . د / عماد الدين خليل . مؤسسة الرسالة ١٩٧٧م . بيروت .

١٠ . فن القصة . د / محمد يوسف نجم . دار الثقافة . د ت . بيروت .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١١ . فنون الأدب (المسرحية) . د / عبد القادر القط . دار النهضة العربية . ١٩٧٨م . بيروت .

١٢ . قيم جديدة للأدب العربي . د / عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) دار المعرفة . أولى ١٩٦١م. القاهرة .

١٣ . مدخل إلى الأدب الإسلامي . د / نجيب الكيلاني . كتاب الأمة . عدد (١٤) . قطر .

١٤ . مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام ، أنور الجندي . إصدارات مجمع البحوث الإسلامي بالأزهر رقم (٢٨) ثانية ١٩٩٦م مصر .

١٥ . مقدمة رواية (اليوم الموعود) دراسة نقدية للمؤلف . (نجيب الكيلاني) مؤسسة الرسالة . بيروت .

١٦ . نقد الرواية في الأدب العربي الحديث . د / أحمد إبراهيم الهواري . دار المعارف . ثانية . ١٩٨٣م. مصر .

١٧ . الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد . د / أحمد بسام ساعي . دار المنارة . أولى ١٩٨٥م. جدة .

١٨ . الواقعية في الرواية العربية . د / محمد حسن عبد الله . دار المعارف ١٩٧١م . مصر .

د : الرسائل العلمية :

١ . الشخصية الإسلامية في الرواية المصرية الحديثة وقيمتها في العمل الفني : بحث دكتوراه مقدم من الباحث / كمال سعد محمد . لكلية اللغة العربية بأسيوط . جامعة الأزهر ١٩٩٦م.

٢ . نجيب الكيلاني أديبا : بحث التخصص (الماجستير) المقدم من الباحث كمال سعد محمد خيلفة . لكلية اللغة العربية بأسيوط جامعة الأزهر ١٩٩٢م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هـ - الدوريات الثقافية :

١ . مجلة (الأمة) قطر عدد (٣٨) صفر ١٤٠٤هـ .

٢ . مجلة (الأمة) قطر عدد (٤٢) جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ .

٣ . مجلة (الحرس الوطني) المملكة العربية السعودية . عدد (١٨٩/١٩٠).

٤ . مجلة (عالم الفكر) الكويتية . عدد (٤/١٧) .

٥ . مجلة (فصول) جمهورية مصر العربية عدد ٢/٣ يونيو ١٩٨٢م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner